الحاصد

obeikan.com

الحاصد
رواية
محمد إبراهيم محروس
الطبعة الأولى : ٢٠١٥

دار الحلم للنشر والتوزيع
٤ شارع الأشراف - من شارع مؤسسة الزكاة - المرج - القاهرة
موبايل : ٠١١٤١٨٢٤٥٦٢
dar_el7elm@hotmail.com
المدير العام : د.إسلام فتحى

تصميم الغلاف :
إخراج داخلي : الحلم للدعاية والإعلان

رقم الإيداع :
رقم الترقيم الدولي :

إن دار الحلم للنشر والتوزيع، غير مسؤولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وتعبر الآراء الواردة في هذا الكتاب عن آراء المؤلف، ولا تعبر بالضرورة عن آراء الدار .

obeikan.com

محمد إبراهيم محروس

الحاصد

obeikan.com

obeikan.com

(١)

ارتعشت وهي تعتدل في فراشها، تشعر بسخونة بالغة في جسدها، من أين يأتي كل هذا الحر، لا تستطيع أن تميز الليل من النهار.. تشعر بصعوبة في الرؤية.. تتطلع حولها في رهبة.. سكون تام يلف غرفتها وظلام كثيف، ولا نور يتسلل تقريبا من الشرفة، من الجلي أن الكهرباء مفصولة عن المنطقة بأكملها.. تحاول أن تتذكر متى نامت أمس فتفشل.. هل تغادر غرفتها في هذا الظلام، أم تنادي أحدهم بالخارج؟ سيضحكون عليها ويظنون أنها خائفة من الظلام. إن غرفتها تقع ثالث غرفة في الدور الثاني في فيلا مراد الخشن، تلك الفيلا التي اختارها الخشن بعيدًا عن زحمة العمران، لتكون خلوته في أيامه الأخيرة بجوار أرضه الزراعية.. وجمع فيها أفراد أسرته.. كان يريد الهدوء في آخر أيامه.. تتساءل أحيانا ما ذنبها أن تستقر بعيدًا عن الناس لمجرد إرضاء جدها.. تشعر أن جدها يخاف عليهم من البشر.

إنها نوال بنت ابنه المرحوم مدحت ابن مراد الخشن، أبوها الذي تفتقده بشدة منذ زمن.. لم تتصور قط أن أباها مدحت الخشن

المشهور بعنفوانه وقوته يموت هكذا، شخص متوحش يذبحه ويترك رأسه بجوار المقابر مفصولا عن الجسد، بينما اختفى الجسد ولم يعثر رجال المباحث عليه حتى بعد مرور أعوام، لا تريد أن تحصي عددها الآن.. الألم يحطمها ويجعلها تبدو كأنثى متنمرة في أي لحظة قد تنفجر في الآخرين.. لذا حاولت أن تهدأ وهي تزفر في عنف.

تريد أن تتحرك ولكنها صارت تخاف الحركة الكثيرة، تخاف من نظرات الآخرين لها.. تلاحظ في نظراتهم أشياء كثيرة يريدون قولها ولكنهم يمتنعون لسبب ما.

الفيلا من ثلاثة طوابق خصصها جدها لسكنهم، الدور الأول عبارة عن بهو كبير وفي نهايته طرقة صغيرة تؤدي إلى غرفة سعاد، تلك الفتاة الصغيرة التي اعتبرها جدها واحدة من الأسرة بعد وفاة أمها التي كانت تخدم في الفيلا لسنوات.. ومطبخ صغير وحمامين.. بينما الدور الثاني يحتوي على ست غرف.. جدها يأخذ الغرفة الكبيرة التي تطل شرفتها على حديقة الفيلا، بينما يقطن الغرفة التي بجانبها عمتها فوقية، وزوجها عبد الفتاح، تلك العمة الغبية في نظرها، والتي دوما ما تلتقيها بنظرات حادة وعجيبة ومتهمة، وكأنها هي السبب في كل ما جرى لوالدها هذا ما ظنته بداخلها فلا تفسير آخر لتلك النظرات، وكأنها كانت هي اللعنة في عائلة الخشن.. عيناها اعتادت الظلام والليل يلف كل شيء.. لا تسمع سوى صوت كلاب تنبح من بعيد كل فترة نباح قوي.

وقفت بجوار باب غرفتها، وضغطت على زر إضاءة النور لعل وعسى، ولكن الغرفة ظلت سابحة في الظلام.. خرجت للممر الطويل

الموجود في الدور الثاني وتطلعت للغرف المغلقة، لماذا هذا الصمت المقيت، كم الساعة الآن؟

عبد الفتاح زوج عمتها بالتأكيد بالخارج ولم يعد إلى الآن؛ فهو رجل متلاف ومتصابٍ، كثيرًا ما لمحت تلك النظرة من عينيه اتجاهها.. نظرات تنهشها وتعريها، أحيانا تحلم أنها تقتله، بل وتمزق جسده بوحشية متلذذة بألمه. اللعنة لماذا تصادفها تلك الخيالات السادية؟ راح الكابوس الذي رأته يطاردها مرة أخرى بمنتهى الوحشية، ويلح عليها باستمرار كلما حاولت طرده من ذهنها.. كانت تجري بمنتهى السرعة وهم خلفها، تسمع أصوات أقدامهم فتزيد من سرعتها، تراهم يقتربون، سيلحقون بها، يجب أن تجد مكانًا لتختفي فيه، الظلام رهيب فوقها، والقمر نصف مكتمل، تصرخ عندما تتعثر قدماها في حجر وتسقط على الأرض، تسمع نباح الكلاب عاليا ومتواصلا، تقف وتواصل العدْو، ولكنهم صاروا على بُعد أمتار منها، صرختها تزداد عنفًا عندما يقبض كلب شرس على قدمها اليسرى، تسقط على الأرض، يضغط الكلب بفكيه على ساقها.. تصرخ أكثر وبعنف، تراهم الآن واضحين تمامًا، وتلمح تلك النظرة الرهيبة في أعينهم وهم يقتربون وعلى وجوههم تعبيرات وحشية.. إنهم لن يتركوها، يجب أن تستسلم.. تضرب الكلب بقدمها الحرة في وجهه عدة مرات حتى يخف من ضغط أسنانه على ساقها، تمسك قطع خشب بجوارها، وتضرب الكلب على رأسه عدة مرات، حتى رأت الدماء تفور من رأسه وتختلط بالدماء النازفة من قدميها.. تعاود الصراخ وهي تقف لتفر مرة أخرى، ولكنهم هذه المرة كانوا

يحيطون بها من كل الجوانب.. تحشرجت صرختها في حلقها وهي تقوم، ولكن السؤال الغريب الذي دار بخيالها لماذا رأت جدها وسطهم. مستحيل أن يؤذيها جدها.. الهلاوس تزداد بالتأكيد، تدخل غرفة جدها وتتأمل جسده المسجى على السرير في وضع الجنين.

لماذا يا جدي أصررت على طلاقي من رأفت؟ ألست أنتَ من أصر أيضا على إتمام تلك الزيجة في البداية؟

لماذا بعد وفاة رانيا ابنتي الرضيعة قررت أن حياتي مع زوجي انتهت؟ ظالم أنت يا جدي!

أسئلة راحت تسألها لنفسها.. لماذا تلك العائلة منكوبة هكذا؟ لقد فقدت ابنتها الرضيعة فجأة.. الحالة النفسية السيئة التي أحاطت بها لا تدعوهم أن يتخلوا عنها.. كان يجب أن يدعموها لتواصل الحياة.

إنها كانت تحتاج لمن يربت على كتفها، لمن يحتضنها.. لمن يقول لها إن الحياة ستستمر. وباستطاعتها الإنجاب مرة أخرى.. لماذا عاملوها هكذا؟!! ولماذا تخلى عنها رأفت؟

وجدت نفسها أمام غرفة ثابت ابن عمتها وزوجته صفية.. صفية أيضا تغار منها، تعرف صفية قصة الحب القديمة بينها وبين ثابت ابن عمها منذ زمن، وقبل زواجها (هي نوال) من رأفت. لذا دوما تضمر لها نية سيئة. هذا ما تدركه نوال وتعرفه، وتحاول أن تجعل نفسها دوما في وضع التحفز. متوقعة أي رد فعل من صفية لأي حدث مهما بدا تافها.

غرفة أمها وأبيها شاغرة. لم يسكنها أحد بعد وفاة الأب ومغادرة

أمها الفيلا غاضبة ومقسمة أنها لن تعود للفيلا مرة أخرى طوال حياتها.

وفي آخر غرفة يقطن عمها الكبير العازب شوقي.. إنها تحب عمها شوقي فهو على الرغم من عزلته، لكنه لم يوجه لها أي إساءة تذكر من قبل، وكان يحب رضيعتها رانيا بجنون.. أحيانا تشك (من تلك الكتب العجيبة التي يصحبها معه دوما) أنه يمارس السحر. تقسم أنها أحيانا تسمع بعض أصوات من غرفته تبدو كأشخاص يتعذبون وكأنهم في قاع جهنم. لكنها لا تصدق أذنيها وتقول إن هذه الأصوات برأسها فقط بسبب تلك الأدوية التي كتبها لها طبيبها النفسي والتي تواظب على تناولها، وفي بعض الأحيان تخفي تلك الأدوية ولا تتناولها عندما تسأم العلاج وتشعر بأنه بلا جدوى.. لقد أصبحت تستمتع بتلك الهلاوس.. تشعر بأنها تنقل لعالم آخر بعيدا عن يأسها وإحباطها.

نور متسلل عابر، تلمحه وهي واقفة في مكانها، لا بدَّ أنه عبد الفتاح زوج عمتها، لتعود لغرفتها قبل صعوده؛ لا تريد أن تصطدم به وهو في حالات السكر التي يعود عليها.

بعد لحظات تكون في غرفتها، تنظر لسريرها نظرات غريبة، ربما نظرات تقزز، هناك شيء يخيفها في غرفتها، هل الفيلا مسكونة بالعفاريت.

في أحايين كثيرة تقسم أنها تسمع خطوات في الفيلا.. وتسمعهم يتجادلون على قتلها، لا بدَّ أن تهرب من هذه الفيلا في أقرب وقت، لن تنتظر أن ترى أهوالا أخرى يكفي موت أبيها وموت ابنتها

obeikan.com

الرضيعة.
الجحيم نفسه أصبح هذه الفيلا، كل شيء ينغص عليها حياتها تجده هنا.. جدها مراد الخشن بتسلطه وجبروته، وعمتها فوقية بنظراتها المتحفزة وعباراتها الساخرة المستفزة، وعبد الفتاح زوجها بعربدته وسكره، وصفية بغيرتها منها، وثابت باستسلامه لجدها، وشوقي عمها بعزلته وكتبه الغريبة.
يكفيها حقًّا ما فقدته من قبل، ستحاول الهرب، لكن هل هذا تفكيرها أم أن العقار يسيطر عليها ويدفعها لأفكار مجنونة؟
إنها لا تسمع خطوات عبد الفتاح على السلم هل لم يعد بعد. وما هذا الهدوء الغريب والظلام المقبض.
الشمعة التي تحملها بيدها قاربت على الانطفاء.
لتغلق باب الغرفة عليها بالمفتاح، تفتش في كل مكان.. أين اختفى ذلك المفتاح؟! لقد وضعته آخر مرة بجوار فراشها على الكومود، تقرب الشمعة من الكومود.. لا أثر للمفتاح، هل تسحب كرسيًّا وتضعه خلف الباب. ولو حاول عبد الفتاح الدخول سيسقط الكرسي ويصحو الآخرون.. ولكنها ستصير فضيحة لها.
هناك همهمة تصل إلى أذنيها، بالتأكيد هي ليست واهمة، هناك من يتكلم في الصالة، إنها تسمع الهمس الدائر، هل هذا صوت عمتها وزوجها عبد الفتاح، نعم، إنه صوت عمتها، متى عاد الزوج؟! إنها لم تسمع صوت صعوده الدرج للدور الثاني. لتظل ثابتة في مكانها، ولتنصت، ما هذا الذي يقولانه، مستحيل!
إنهما يتفقان على قتلها، والتخلص منها، هل هذا حقيقي؟!

عمتها تريد قتلها لماذا؟!
الحوار واضح أنهما بالفعل يدبران للتخلص منها ولكنهما يبحثان عن أفضل وسيلة. ولكن حتى لو كان هذا صحيحا فهل كانا يقتربان لتلك الدرجة من غرفتها لمناقشة خطتهما في قتلها؟
وجدت نفسها تغادر غرفتها للممر بسرعة تريد أن تفاجئهما أنها سمعت كل شيء. ولكن عينيها اصطدمتا بالظلام، لا وجود لعبد الفتاح ولا لعمتها فوقية في الممر، هل تتوهم كل هذا؟ مستحيل!
إنهما كانا قريبين جدًّا من غرفتها، وحديثهما وصل لمسمعها كاملا!
أية لعنة مجنونة تلك التي تطاردها؟
من أين يأتي هذا النور الخافت في الدور الأرضي.. نزلت الدرج بهدوء، النور يأتي من غرفة سعاد في آخر الممر.. تقترب من الغرفة وهي تتساءل لماذا توجد إضاءة فقط في غرفة سعاد الخادمة، لماذا لا توجد إضاءة في الفيلا كلها؟
هناك أصوات صادرة من غرفة سعاد، تضع نوال يدها على فمها لتمنع شهقة.. إنه صوت ثابت ابن عمها، ما الذي يفعله هذا المجنون في غرفة الخادمة. هل هو ما تفكر فيه؟ اللعنة عليه لو كان الأمر كذلك!
هل تقترب أكثر لتنصت لما يدور، هل تصرخ لتفضحه أمام زوجته صفية.. كلا صفية تستأهل أكثر من هذا.. كتمت ضحكة وهي تقترب من المكان وتتصور شكل صفية عندما تجد ثابت في أحضان سعاد.. ستكون مفاجأة قوية لها. وسيكون الانتقام لذيذا.
فجأة لمعت الفكرة في عقلها وهي تصعد الدرج مسرعة تحاول أن لا

يكون لقدميها صوت.. ستفتح غرفة صفية وتسحبها من يدها لتريها ثابت في وضعه الشائن.

هذا أقل ما يرضيها الآن.

وقفت نوال مترددة أمام غرفة صفية. ولكن بعد ثوان اقتحمت الغرفة. وهي تهتف باسم صفية، ولم يجبها صوت. فلم تكن صفية في سريرها. السرير شاغر ولا أثر لصفية. ما هذا؟ أين اختفت هي الأخرى؟!

بعد لحظات كانت تدخل غرفة جدها لتقول له إن صفية ليست في سريرها، ولكنها وجدت سرير جدها شاغرا هو الآخر.. راحت تفتح غرف النوم غرفة خلف أخرى ولكنها لم تجد أحدًا قط.

كلهم مختفون! أين ذهب الجميع؟!

ارتجفت بعنف وأصابها الهلع لمجرد التفكير أن لا أحد هنا وأنها وحدها وسط هذا الظلام. هل هاجم لصوص الفيلا؟ ستعود لأسفل ستنادي على ثابت وسعاد حتى لو كانا في وضع غير لائق.

تشعر أن ثمة شيئًا مروعًا حدث!

رياح الخوف الغريب تسيطر عليها وهي تقترب أكثر من غرفة سعاد.. وكأنها تنتظر نهاية شيء لا تدركه.

دخلت الغرفة بعنف وسرعة، ثم ارتدت للوراء فما رأته جعلها ترتعد وبجنون، فأمامها مباشرة كانت سعاد في سريرها. غارقة في دمائها، وهناك من فصل رأسها عن جسدها، وبجوار السرير كان يقف الجميع.

كل سكان الفيلا يحيطون بالسرير وكأنهم يؤدون طقسا ما.

obeikan.com

صرخت بأقصى قوة وشعرت بالجفاف في حلقها.
رأت تلك النظرة الغريبة المفزعة من عيونهم تجاهها، تراجعت للخلف وراحت تجري. أي عبث يحدث!
جرت في اتجاه باب الفيلا.
تسمع خطواتهم تجري وراءها، تقف أمام الباب وهي تلهث تحاول فتحه، ولكن الباب لا يطاوعها، وكأن هناك من أغلقه بمزاليج من حديد من الخارج.
تخبط على الباب بعنف وقوة وهي تراهم على بُعد خطوات منها، وفي أعينهم نظرة أقرب للقتل.
هل سيقتلونها هي الأخرى؟!
لماذا قتلوا سعاد؟ أي عائلة مجنونة تلك؟!
أخذت تصرخ بأقصى قوتها عندما وجدت أيديهم تمتد نحوها، قبل أن تسقط فاقدة الوعي في عالم مليء بالهلاوس والكوابيس.

obeikan.com

obeikan.com

(٢)

ارتعد جسدها بعنف عندما سمعت الدقات على باب غرفتها، كيف هي حية للآن؟!

راحت تتحسس جسدها؛ لتطمئن أن لا أثر لإصابة بها، لماذا لم يقتلوها؟!

الدقات ترتفع مرة أخرى وهي تتراجع برأسها لتسندها على مخدة السرير وتؤكد لنفسها أنها تهلوس.. ستحافظ على ثباتها وانفعالاتها.

قالت في صوت هامس:

- ادخل.

سمعت صوت مقبض الباب يدور، ثم فتح الباب لتجدها تقف قبالتها وعلى شفتيها شبح ابتسامة، زاد ارتعاد جسدها، فالذي كانت تقف أمامها في هذه الثانية هي سعاد، بطولها الفارع ووجهها الطولي ولفة المنديل المعتادة حول رأسها، وخصلة الشعر الصفراء المصبوغة بصبغة رديئة تظهر جلية.

ظهر الذهول في أقصى صوره على ملامح نوال قبل أن تقول سعاد ببساطة:

obeikan.com

- لقد تم وضع العشاء وينتظرونك للنزول.
هزَّت نوال رأسها في خوف وعيناها متسمرتان على سعاد التي غادرت الغرفة بهدوء، وسمعت نوال صوت قدميها وهي تهبط السلم المؤدي للبهو.. وتساءلت نوال بينها وبين نفسها ما الذي يحدث لها تحديدًا، وكيف مرت بذلك الكابوس شديد الدقة الذي بدا حقيقيا لأقصى درجة.. بعد دقائق كانت نوال تجلس إلى مائدة السفرة تتطلع لعمتها فوقية وزوجها عبد الفتاح وجدها الذي احتل صدارة المائدة، بدأت سعاد في وضع الطعام على المائدة، بينما ساد الهدوء لوهلة حتى قطع الهدوء عبد الفتاح وهو يقول للجد:
- لا بدَّ من تربية معاطي؛ لقد تجرأ على العائلة.. إنه يدور في العزبة يشنع علينا بأقصى الاتهامات.. المجنون يظن أن مقتل ابنته بجوار الفيلا من ترتيب العائلة.
قال ثابت وهو يبتلع ما في فمه:
- مجنون بالتأكيد.. المباحث نفسها لم تجرؤ على توجيه الاتهامات لأحد منا.. ما لنا نحن وابنته توحيدة. كيف يكون القاتل منا؟! أي شيطان يعبث بعقل هذا الرجل.
قال عبد الفتاح بغيظ مكتوم:
- لهذا لا بدَّ من تأديبه. إنني أفكر في طرده من الأرض. ولن يمنعنا أحد.. عمي كان يترك له الأرض ليزرعها دون عقود بينهما.. لذا هذا من حقنا.
بدا كأن شوقي لا يهتم بما يجري يكفي بأن يهز رأسه هزات لا معنى لها بينما صفية زوجة ثابت عيناها معلقتان على وجه نوال وكأنها

تنتظر أن تنطق نوال بأي كلمة لتثور في وجهها.
قال الجد بعد فترة صمت فيها الجميع ينتظرون رأيه:
- الرجل مكلوم في ابنته.. ومصيبته ليست صغيرة. فلا نستطيع أن نلوم عليه في حالته تلك. يكفي ما حدث ورأيناه بأعيننا.
راحت تنظر فوقية لابنها ثابت أن يتكلم، كانت هي مع طرد معاطي وعائلته بالكامل من الأرض. مستحيل أن تسمح بأن يتطاول أحد على عائلة الخشن. وقتها قد يتطاول الجميع عليهم. ولكن ثابت أيضا لم يبد رأيا قاطعا في الموضوع بعد ما قاله سابقًا وظل يأكل بهدوء.
قالت نوال وعيناها على جدها:
- أنا من رأي جدي.. الرجل بالفعل في محنة ويجب مساندته وليس طرده.. شيء من الرحمة.
ابتسم عبد الفتاح ابتسامة ذئبية قبل أن تقول زوجته في حدة:
- كيف لكِ أن تتدخلي في أمر كهذا.. هذا الأمر يحدده كبار العائلة.. الأفضل أن تصمتِي وتعودي للأكل.
ظهر الإحراج على ملامح نوال، ولكنها كتمت غيظها وأطلقت زفرة حارة وعادت لتنظر في وجه جدها وكأنها تستغيث به أن يحميها من عمتها وقسوتها عليها. ولكن الجد اكتفى بأن قال:
- هذا الأمر يخصني أنا وحدي.. وأنا الذي يقرر من يذهب ومن يظل.. ما دام مراد الخشن على ظهر الدنيا ليس لأحد أن يحدث أمرا دون إرادته.. أظن هذا واضحًا للجميع.
ابتسمت نوال بداخلها؛ فرد جدها حسم معركة ربما ليست كبيرة

obeikan.com

من وجهة نظرها، يكفي أولا وأخيرًا أن جدها هو الذي له السمع والطاعة على أرضه وممتلكاته.

الوحيد الذي كان يجادل الجد دوما، ويتحمله الجد هو أخوها محمود، الذي أصر أن يغادر الفيلا مع أمها. ليته موجود. كان سيكون سندا لها في محنتها على الرغم من أنه يصغرها بسنوات.. إنها تحتاجه بشدة، لقد أرسلت له خطابا منذ فترة طويلة ولم يصلها رد للآن.

تعطي له الأعذار.. لا بدَّ أنه مشغول في حياته الجديدة. فقد سافر مع الأم إلى تلك الدولة العربية بعد أن جاء لها عقد عمل كمدرسة هناك. وعلى الرغم من رفض الجد لسفره مع أمه ولكنه لم يستطع أن يمنعه.

كم كان محمود قويا في مواجهة جده وتحديه على الرغم من حداثة سنه!

راحت الأطباق ترفع من على المائدة، بينما ظل الجميع في أماكنهم لفترة قبل أن ينتقلوا للصالة الكبيرة؛ لتناول الشاي.. بينما ذهب الجد إلى غرفة المكتب الصغيرة أسفل سلم البهو وأشار لنوال أن تتبعه.

دخلت نوال غرفة المكتب خلف جدها وأشار لها أن تغلق باب الغرفة.. فأغلقته.

جلس إلى مكتبه وقرب بعض أوراق أمامه وأشار لها أن تجلس. وظل صامتا للحظات قبل أن يقول في حزم:

- لا أريدك أن تتدخلي مرة أخرى في حديثنا في أي موضوع. عمتك

لديها كل الحق.. اسمعيني جيدًا . نحن نريد الهدوء الفترة المقبلة، فلا أريد منك أي خطأ.. هل تفهمين؟

قالت نوال وهي لا تفهم لماذا يصر جدها على معاملتها هكذا منذ فترة:

- إنني لم أقل أي شيء يسيء، بل على العكس يا جدي أنني كنت أؤيد رأيك.

قال الجد بصوت جاف:

- حتى هذا لا أريده.. دعينا نعالج أمورنا بنفسنا. فلا تتدخلي فيما لا يعنيك.

قالت نوال وقد زادت درجة التنمر بداخلها:

- كيف لا يعنيني.. ألست فردا من العائلة؟!

ضرب الجد سطح المكتب بقبضة يده وهو يقول:

- لا أريد منكِ سوى أن أسمع كلمة عُلم وينفذ. هل فهمت؟

هزَّت نوال رأسها في حنق وهي تقول بغيظ مكتوم:

- عُلم وينفذ.

أرجع جدها ظهره للوراء وهو يقول:

- باستطاعتك الانصراف.

لم تجد نوال فائدة من الجدال مع جدها فهي تعرف عقله وتعرف أنه لا يقبل المناقشة.

خرجت من الحجرة وأغلقت الباب خلفها وعندما دارت بجسدها وجدت قبالتها عبد الفتاح زوج عمتها وعلى شفتيه تلك الابتسامة الذئبية وهو يمد يده ليمسك يدها، فأبعدت يدها وتراجعت حتى

obeikan.com

كادت تصطدم بباب غرفة المكتب وهو يقول:
- عنادك لن يزيدني إلا إصرارا على تحقيق ما آمله.. مدت يدها لمقبض الباب وهي تنظر إليه في شزر نظرة غاضبة نافرة، فتراجع عبد الفتاح خطوتين وهو يضحك تلك الضحكة المقيتة بصوته المقيت الذي تكرهه.. وعادت تتخيل نفسها تذبحه. فهزَّت رأسها وهي تحاول أن تطرد تلك الخيالات المريضة من رأسها.
كانت نوال قد استطاعت بصعوبة أن تستعيد رباطة جأشها وهي تغادر الفيلا، كانت تريد أن تروِّح عن نفسها قليلا. وتتمشى في الحقول الواسعة.
القمر نصف مكتمل والسماء صافية، ونسمة ندية ترطب الجو وتداعب وجهها.. والليل ساكن وظلام هادئ يسري في الأنحاء.
لا تعرف نوال تحديدًا ما المكان الذي تقصده، لكنها وجدت نفسها تسير في اتجاه المنطقة التي وجدوا فيها جثة توحيدة ابنة معاطي.. لقد غلبها الفضول يومها مثل الجميع وجاءت إلى هذا المكان.. كان جسد توحيدة ملقى على الأرض. وفي صدرها مكان القلب قد غرس سكين ضخم ويبدو أن من قتلها كان يحاول أن ينزع قلبها من مكانه، ولكنه لم يستطع أو هناك شيء منعه من التمثيل بالجثة. الفظيع وقتها أن من قتلها ضرب رأسها بالفأس عدة مرات فضاعت معالم الوجه، ولولا ملابسها المعتادة والخاتم الذهبي الذي ترتديه ربما لم يتوصلوا بسرعة لشخصيتها. للتشوه الرهيب الذي حدث لوجهها.. توحيدة تلك الفتاة العشرينية الرقيقة. صاحبة العينين شديدتي الاخضرار وكأنهما بلون خضرة الغيطان. خطواتها المسرعة

وضحكتها الصافية.. وصوتها العالي المناكف للآخرين.. كل هذا انتهى في ثانية.. وبسبب شخص مجنون.. الأغرب والمستحيل أن يظن معاطي أنه من عائلتها.

هل هذا معقول؟!

لقد كانت تلمح عمها شوقي كثيرًا يقف مع توحيدة ويكلمها.. هل يكون عمها هو من قتلها.. ولماذا يقتلها؟!

إنها أحيانا تخاف من عمها شوقي تشعر أنه يحمل سرًّا لا يريد لأحد أن يطلع عليه. ليت أخاها محمود بجانبها.. كم تحتاجه الآن ليهون عليها من صعوبة الحياة. لماذا أصرت أمها أن تغادر الفيلا بعد موت ابنتها هي الرضيعة ولماذا طاوعها محمود.. أليس من الأفضل أن تقعد أمها بجوارها وقتها لتواسيها في شقائها.

أسئلة كثيرة محيرة تضرب رأسها لفترة ليست بقصيرة. ولم تتوصل لحل لها قط.

وجدت نوال نفسها بعد فترة أمام باب الفيلا. لا تعرف كيف قطعت المسافة كلها دون أن تشعر. دخلت تطلعت للبهو الهادئ.. كانت غرفة مكتب جدها مضاءة بالأنوار.. من الجلي أنه لم ينته مما يفعله بعد. هل تذهب لتلقي عليه تحية المساء.. بغتة ساد الظلام الفيلا.. أصبح انقطاع الكهرباء شيئًا مقيتًا.. راحت تمشي بهدوء حذر في اتجاه السلم لا تريد أن تصطدم بشيء.. ولكنها وجدتها أمامها فجأة تقف على الدرج الأول من السلم.. تراجعت نوال بظهرها وهي تحاول أن تتبين معالمها.. من هذه؟ إنها ليست صفية أو عمتها أو حتى سعاد. قالت نوال بصوت مخنوق وهي تهتف:

- من أنتِ.. جدي.. جدي.

ولكنها وجدت يدا تمسكها من كتفيها وتديرها لتنظر. وانطلقت صرخة نوال من بين شفتيها عندما سطع نور فجأة أمام عينيها كان هناك وجه مشوه بعينين غائرتين شديدتي الاخضرار.. إنهما عينان تعرفهما نوال جيدا.. فالتي تقف في قبالتها الآن هي آخر شخص يكون في استطاعته هذا.. توحيدة بملابسها المعروفة والخاتم الذهبي الذي يزين إصبعها.. ووجهها الذي شوهه القاتل.. ونظرة عينيها الغريبة المتسائلة.. وراحت صرخات نوال تتصاعد وتتصاعد وهي تجري متخطية توحيدة في اتجاه غرفتها.. أغلقت باب الغرفة عليها وهي ترتجف رعبًا وهلعًا.

ما رأته تخطى كوابيسها.. لقد رأت جثة تمشي في الفيلا وتنظر إليها.. مستحيل!

إنه بالتأكيد عمها شوقي.. توحيدة.. عمها شوقي وكتب السحر.. هل أعادها للحياة.. الموتى لا يعودون للحياة.. الموتى لا يعودون للحياة.. راحت تردد الجملة لنفسها عدة مرات.. وصوت خطوات تصعد السلم تصل إلى مسامعها.. وبعد ثوان كانت تسمع ذلك الصوت المعروف بصاحبته توحيدة وهي تأمرها أن تفتح الباب.. ولكن الصوت بدا مترجيًا.. وظلت نوال تصرخ إلى أن سقطت مرة أخرى فاقدة الوعي.. غائبة في عالم الكوابيس المخيف.. منتظرة أن تهجم عليها توحيدة لتقتلها..

(٣)

نوال تعود من عالم الكوابيس الغريب المليء بالصور المفزعة لتجد نفسها في فراشها وكل شيء هادئ ولا يدل أنها منذ قليل كانت تقف أمام جثة متحركة.. آخر ما تتذكره هو الوجه المشوه الذي اصطدمت به عيناها.. توحيدة.. هل يعود الأموات للحياة؟!

مستحيل أن يكون ما رأته طبيعيا، هناك تفسير ما.

راحت تتأمل الغرفة من جديد وهي تحاول أن تبدو متماسكة، لن تسمح لنفسها أن تقع مرة أخرى في نفس الخطأ وتصاب بالاكتئاب الحاد والعزلة.. ستنزل لجدها ستخبره بما رأته. ولكن هل سوف يصدقها؟!

جدها الذي يعنفها هذه الأيام بشدة هل سيسمعها وهي تحكي له تلك الهلاوس. ربما أمر لها بالطبيب النفسي ليعالجها مرة أخرى لقد ملت من الأدوية والمهدئات.

يكفي أنها أخيرًا تشعر باستعادتها لتوازنها على الرغم من كل هذه الهلاوس.. لتدع الماضي وراء ظهرها.. الفيلا أصبحت مخيفة ومقيتة بالنسبة لها، كم تتمنى أن تغادر الفيلا.. ستتصل برأفت طليقها،

ستخبره أنها تريد العودة إليه. هي لم تطلب منه الطلاق، بل هو الذي طلقها برغبته أو بإلحاح من جدها. إنها لا تعرف الحقيقة حتى الآن. هل جدها أجبره على أن يطلقها. رأفت سوف يساعدها، كان دوما يصدقها.. سوف تتصل به.

خرجت نوال من غرفتها وتطلعت للفيلا التي تبدو شاغرة على الرغم من أن بها العديد من أسرتها. ولكن من الجلي أن الجميع مشغول بأمر ما.. التليفون الرئيس في غرفة مكتب جدها، ستنزل وتتصل برأفت.. سيكون عونا لها.. نزلت السلم واتجهت لغرفة المكتب، دخلت رفعت سماعة الهاتف وضعت إصبعها على قرص التليفون وهي تضع السماعة على أذنها، ولكنها لم تسمع حرارة التليفون.. عجيب هذا الأمر.. وضعت السماعة وعادت لرفعها مرة أخرى على أذنها، ولكن الصمت فقط هو ما تسمعه. اللعنة!

ستذهب لجدها تخبره أنه لا وجود لحرارة في الهاتف.. جدها لا يستغني عن هذا التليفون في قضاء كل احتياجاته وتوجيه أوامره.. ولكن سوف يسألها لماذا تسللت لغرفة مكتبه، ولماذا تريد التليفون، وستكلم من؟ ستفتح على نفسها أبوابا من التساؤلات هي في غنى عنها.. لتنتظر للغد سوف يكتشف بنفسه ويعيد الحرارة.. تسمع صوت باب الفيلا يفتح.. أغلقت نور المكتب لا تريد أن تضبط متلبسة بدخولها مكتب جدها.. تسمع صوت أقدام كثيرة تدخل وجلبة بالأسفل.. وصوت أشياء توضع على الأرض.. ثم سمعت تلك الأصوات غير المألوفة لديها.. حاولت أن تتعرف الأشخاص من نبرة أصواتهم وحديثهم وفشلت.. تساءلت من هؤلاء؟!

مدت رأسها وهي تفتح باب المكتب بهدوء وتخرج للبهو؛ حيث الحديث يصل إلى مسامعها.. هل يجرؤ عبد الفتاح زوج عمتها أن يأتي بضيوف للفيلا دون أن يستأذن جدها.. مستحيل!

جدها مانع الزيارات في الفترة الأخيرة.. خصوصًا بعد موت ابنتها رانيا.

فكيف يتجرأ هذا الوغد على اصطحاب أنواع من عينته لفيلا الخشن، سوف تطردهم بالتأكيد.. استجمعت شجاعتها وخرجت للبهو.. جحظت عيناها بعنف وهي ترى الحقائب الموضوعة بجانب الباب، من هؤلاء؟ وكيف دخلوا؟ ليس بينهم عبد الفتاح زوج عمتها.. راحت تتطلع لهم بعينين متنمرتين.. طفلان صغيران أكبرهما في العاشرة من العمر.. فتاة في السابعة عشرة تقريبا تقف وتتطلع للمكان بغضب.. رجل وامرأة يبدو أنهما الزوجان والفتاة والطفلان أبناؤهما.. المرأة واضح من تفاصيل جسدها أنها في أواخر أيام الحمل.. رجل عجوز تخطى السبعين تقريبًا يقف في هدوء وفي عينيه ارتسمت نظرة حزينة. لا بدَّ أنه الجد لهؤلاء الأطفال.. لماذا بدا لها هذا الجد العجوز شخصًا تعرفه وهي تقترب منهم متسائلة بصوت به نبرة غاضبة:

- من أنتم؟ كيف تدخلون الفيلا هكذا؟

لم يرد عليها أحد، وكأن سؤالها لم يصل إلى مسامعهم وضاع في الفراغ.. عادت مرة أخرى لترفع صوتها زاعقة.. تجاهلوها أيضا مرة أخرى بمنتهى الاستخفاف، بل راحوا يحدثون بعضهم البعض بهدوء غريب.. قال العجوز بصوت بدا لها كأنها سمعته منذ سمعت وهو

يقول:
- لم آتِ لهنا منذ سنوات طويلة.. لا أعرف عددها بالضبط.. قال المرأة:
- الفيلا رائعة من الخارج ولكنها تحتاج لكثير من التجهيزات.. قالت الفتاة الصغيرة:
- أمي إنني أشعر بالخوف من هذه الفيلا.. فهي بعيدة عن العمران ووقت ولادتك قد لا نجد طبيبا قريبا.. ابتسمت الأم وهي تقول بثقة:
- لا تقلقي جدك اهتم بكل شيء.
قالت الفتاة وهي تنظر للأمام وتتطلع للسلالم الصاعدة للدور الثاني:
- هذه الفيلا تخيفني حقًّا.. ضحك أبوها بصوت عال وهو يقول:
- لماذا؟ أتظنين أنها مسكونة بالعفاريت.. حبك لقصص الرعب.. والأفلام الغبية أصبحت تؤثر على عقلك.. شكلي سوف أمنعك من مشاهدتها.. ضربت الفتاة الأرض بقدميها وهي تقول في دلال:
- أبي حبيبي.. لا يستطيع أن يمنع عني شيئًا أحبه.. قالت الأم بصوت حازم:
- هذا يخضع لتصرفاتك.. وسماعك للأوامر.
قالت الفتاة بصوت غاضب:
- هل نحن في الجيش يا أمي؟
قالت الأم بحزم:
- مناقشتك هذه التي ستمنع عنك كل شيء تحبينه وترغبينه.
لم تعرف نوال لما سكتت طوال هذا الوقت وهم مستمرون في

obeikan.com

الحديث، وهي تسمع هذا الجدال الدائر أمامها.. من هؤلاء الذين يناقشون مشاكلهم وحياتهم في فيلتها؟!

أرادت أن تصرخ عندما سمعت صوت العجوز يقول للفتاة بحسم:

- نوال.. لا تجادلي أمك.. إذن الفتاة الصغيرة اسمها نوال.. غريب أن يتشابه أول اسم تعرفه من هذه الأسرة باسمها هي.. ولكن هذا لا يعطيهم الحق في الدخول والتحرك في الفيلا كما يشاءون.. قالت الفتاة وهي تزوم كقطة حبيسة:

- لا أعرف يا جدي سببا لعشقك لاسم نوال.. أمي نوال.. وأنا نوال.. اسم قديم.. لا أعرف كيف طاوعك أبي في تسميتي هكذا.. قالت الأم بهدوء ودلال:

- وهل كان يستطيع أن يرفض؟

انطلقت ضحكة الأب وهو يقول:

- أوقعيني في مشاكل مع أمك كالعادة.. راح الطفلان يتحركان في البهو بحرية فمساحة البهو تعطي لهما الكثير من حرية الحركة.. بينما وقفت نوال الخشن في وضع التحفز وهي تزعق للطفلين اللذين لم يهتما بزعيقها.. وواصلا لعبهما وجريهما!

راحت نوال الخشن تصرخ باسم جدها وعمها وكل الموجودين حتى عبد الفتاح زوج عمتها نادته، ولكن أحدًا لم يجبها.. صعدت السلالم جريًا.. دخلت الغرف كلها في الدور الثاني ولكنها لم تجد أي أحد.. أين اختفى الجميع؟ قلبها راح ينتفض بين ضلوعها بعنف وهي تتساءل:

ما الذي يحدث بالضبط. ومن هؤلاء الناس بالأسفل. ولماذا لا

obeikan.com

يهتمون بالرد عليها؟
ستحاول أن تخرج لتنادي أحدًا من الخارج.. عادت مرة أخرى لتهبط السلم للبهو في اتجاهها لباب الخروج.. مدت يدها لتفتح باب الفيلا.. الباب لا يستجيب لها.. لقد دخل منه هؤلاء الناس منذ لحظات لماذا لا يطاوعها.. سمعت صوت الجد يقول:
- أحمد.. اجلب باقي أغراضنا من العربة إذ سمحت.. رأت الرجل يقترب من باب الفيلا ويفتحه ويخرج بهدوء.. الباب صار مفتوحًا الآن.. ستنادي أبناء العزبة.. ستبحث عن الجميع ليأتوا ليطردوا هؤلاء الدخلاء.. ما هذا؟!
إن قدميها متيبستان على عتبة باب الفيلا الداخلي وكأن هناك من يمسك بقدميها بقوة.. حاولت أن تتحرك وراحت تهز قدميها ويديها بعنف. ولكنها لم تستطع أن تتحرك حركة واحدة للأمام.. للخارج.. اتسعت عيناها في دهشة بالغة.
مدت قدمها للخلف فوجدت أنها تتراجع ببساطة.. رجعت بظهرها خطوتين.. ثم ثلاث خطوات.. ثم جرت بكل قوتها في اتجاه باب الفيلا.. اصطدمت بفراغ رهيب بدا كحائط من الصلب جعلها ترتد للخلف بأمتار وتشعر بألم مفزع في كيانها كله.. أية لعنة هذه؟ إنها لم تأخذ أي دواء اليوم.. هل تهلوس؟
عادت تحاول الخروج جريا من الباب وكل مرة راحت تصطدم بذلك الحاجز غير المرئي ويرتد جسدها للخلف وتحس بألم بشع.. تشعر أنها على حافة الجنون. والرجل الزوج الذي عرفت أن اسمه أحمد يدخل بحقائب كثيرة يحملها ويمر من جانبها ثم يعود وهو

يحمل بروازا كبيرا يحمله بحرص مغطى من إطاره بورق لامع.. يبدو أنه صورة لعائلتهم.. راح يفض الورق عنه قبل أن يسأل الجد أين يعلق الصورة؟ فأشار الجد بيده إلى ركن ما.

تطلعت نوال للصورة وجحظت عيناها بشدة وتعاظم ذهولها، وراح مخها يدور بسرعة مليون لفة في الدقيقة وهي تتطلع للصورة التي كانت تضم عائلتها هي نوال الخشن.. جدها وأمها وأبوه والآخرون وهي.. ما جعلها ترتجف إلى ما لا نهاية أنها رأت محمود أخاها يمسك بيدها في الصورة، وعرفت الآن لماذا بدا لها العجوز شخصًا تعرفه.. فلقد كان هذا الجد العجوز هو أخوها محمود.. بشحمه ولحمه. ولكن دون عمره.. وكأنه مرت عليه سنوات كثيرة حتى بلغ هذه السن في مدة قصيرة.. أي كابوس هذا؟

لو كان ما تراه حقيقة.. كيف استطاعت أن تقفز كل هذه السنوات لتراه؟!!

هل هو سحر خاص من عمها شوقي.. ولهذا لا يرونها.. مؤكد أنه سحر من شوقي عمها.. لم كلما أصابها شيء غريب تفكر في عمها شوقي وسحره وكتبه.. ولكن لم يفعل بها هذا؟!!

مئات الأسئلة التي لا تعرف لها إجابة.. ولكن كل شيء كان يقول إنها تعرضت لسحر رهيب.. سحر جعلها تقفز عشرات السنين مرة واحدة. لو أن هذا الأمر حقيقة فقد تجاوز كل القصص والروايات التي سمعتها أو قرأتها في حياتها. مؤكد أنها ما زالت في كابوس وسينتهي وستصحو في فراشها.. هذا ما أخذت تؤكده لنفسها طوال الوقت.

وللحظة راحت كل حياتها تمر أمامها والخيالات تطاردها بعنف. وأحست أن جسدها يشتعل وهي تصرخ وتصرخ وبلا توقف.. بينما يصعد الجد محمود - الذي كان في يوم ما أخاها الصغير - السلم وخلفه ابنته الحامل وزوجها وأحفاده.

obeikan.com

(٤)

لماذا تعود للغرفة في كل مرة تفقد فيها الوعي؟!
سؤال لم تجد له نوال أي إجابة.. إنها تتذكر كل ما مرَّ بها منذ أيام. شيء أفظع من كل الكوابيس التي دارت في عقلها.. لقد رأت أخاها محمود في صورة جد وله أحفاد.. وجدت أنها لا تستطيع أن تغادر الفيلا.. هناك سحر خاص نقلها بتلك الصورة الشفافة إلى داخل الفيلا.. إنها لا تستطيع أن تجزم هل هي في هيئة شبح يتحرك في المكان؟
وإن كانت شبحا فمتى ماتت وكيف؟ هل ماتت صغيرة أم ماتت عجوزا؟! أسئلة لا إجابة لها!
ولو أنها ليست شبحًا.. فكيف قطعت كل تلك السنوات؟
وهل ستظل حبيسة هذا الزمن؟!
لقد عرفت أن أخاها وأحفاده وابنته وزوجته قرروا أن يقضوا إجازتهم السنوية هنا قبل عودتهم للخارج.. وأن ابنته قررت أن تلد مولودها القادم في مصر.
من الواضح أن أخاها لم يزر الفيلا منذ خرج منها صغيرا مع أمها..

ويعود بعد كل تلك السنوات ليجد شبحها يسكن الفيلا. مستحيل! من المؤكد هناك حل لهذه الألغاز العجيبة. لا بدَّ أن لوجودها الآن سببا ما. وستعرفه. هذا ما أخذت تحدث نفسها به وهي تتحرك في الفيلا. عرفت كيف تتعامل مع حالتها العجيبة وتتنقل بين الغرف بسهولة ويسر. أحيانا يكون في مقدرتها رفع أكواب أو تحريكها من مكانها.. وأحيانا لا تستطيع أن تنقل ريشة من موضعها. الأمر الذي أدهشها في أول مرة. ولكن مع التجربة اكتشفت أن هذا يخضع لحالتها النفسية.. الرعب الشديد أو الخوف يجعلها تفعل هذا، بينما عندما تكون هادئة تفقد قدرتها على تحريك أي شيء من مكانه. سوف تكتب لأخيها خطابا ستخبره أنها هنا.. سوف تنتظر حتى تعود إليها قدرتها على مسك الأشياء لتكتب هذا الخطاب.

ولكن هل سوف يتعامل أخوها مع الخطاب ببساطة وأريحية.. عندما يعرف أن أخته في صورة شبحية تسكن الفيلا.. لو كان سحرا هل سيبحث في كتب السحر الخاصة بعمها ليخرجها من تلك الحالة؟ لقد تأكدت أن الكتب موجودة في مكانها في غرفة عمها في المكتبة الصغيرة

ثم عادت نوال تتذكر توحيدة وآخر مرة رأتها فيها.

هل ما حدث أن توحيدة هي من فعلت هذا؟ ولأي سبب؟!

كثرة الأسئلة بلا إجابات تؤدي إلى الفوضى.. يجب أن تعلم حقيقة كل شيء حتى تستطيع التصرف.

عقلها يشتعل.. هذا لو كان لها عقل في تلك اللحظة.. كل شيء مجنون ولأقصى درجة.

يجب أن تخرج من غرفتها لتبحث عن وسيلة للتواصل مع أخيها على الأقل.

لا تعرف لماذا تشعر بحركتها ونومها في فراشها؟ هل الأشباح تحس بالموجودات.

همت بأن تغادر الفراش عندما فتح باب غرفتها.. اللعنة!

التي تقف أمامها على الباب كانت سعاد الخادمة الصغيرة.

لم تستطع أن تجيب سعاد بحرف بعد أن قالت لها: إن جدها ينتظرها بالأسفل ويطلب منها الحضور.

ما الذي يحدث بالضبط؟!

الجنون يصل بها لأقصى درجات الرعب.. إذن هي كانت تحلم. ولكن أي كابوس ملعون نقلها كل هذا الزمن لترى أخاها عجوزا ومعه أحفاده؟

أي سحر عجيب يسيطر على حياتها. ما هذه الكوابيس الغريبة المرعبة.. سوف تراقب عمها شوقي.. بالتأكيد ستصل لحل ما.

خرجت من غرفتها.. تطلعت لأسفل.. كانت سعاد تباشر حملة في تنظيف الفيلا. بينما عمتها فوقية تملي عليها ملاحظاتها، بدت لها عمتها فوقية بطولها القصير كدمية لعبة مشوهة تتحرك في الأسفل. هل تهبط للبهو سوف تصطدم بعمتها وربما حدث بينهما ما لا تحمد عقباه. من الأفضل أن تتجاهل عمتها بالكامل وتذهب لغرفة عمها شوقي كما قررت في البداية. في هذه الساعة يكون عمها في المقهى في الخارج ويعود بعد ساعات، لذا الفرصة سانحة كي تتجول براحتها في الغرفة. ربما تجد حلا لكل هذه الألغاز التي تحدث لها.

obeikan.com

ولكنها عندما قررت الذهاب لغرفة عمها تذكرت ما قالته سعاد بأن جدها ينتظرها في غرفة المكتب.. اللعنة!

ستحاول أن تعرف ما الأمر الذي يريدها جدها فيه وستعود سريعًا للأعلى حيث غرفة عمها شوقي.

بدأت تنزل السلالم بسرعة عندما لمحت عمتها فوقية تتجه للمطبخ. وبعد لحظات كانت أمام غرفة مكتب الجد. طرقت الباب بهدوء حتى سمعت جدها يسمح لها بالدخول. دخلت وقفت قبالته وفي عينيها انطلقت نظرة متسائلة. فقال جدها بهدوء:

- اجلسي.

جلست على مقعد أمامه، نظر في عينيها للحظات وبدا أنه يفكر في أمر ما مهم. قبل أن يقول بصوت ذي نبرة حزينة:

- أنتِ تعرفين بالطبع أن لك ميراثا من أبيك في الأرض الشرقية..

هزت نوال رأسها أن نعم.

فأكمل الجد مستطردًا:

- منذ وفاة أبيك وأنا أحاول أن أحافظ على الأرض الشرقية وأحفظ ميراثك فيها. ولكن أمك اليوم أرسلت رسالة عن طريق محام لها أنها تريد نصيبها أيضا من هذه الأرض. التقسيم سيضر بالأرض وفي الوقت نفسه أمك ترفض أن تأخذ حقها فلوس. وتقول إن نصيبها ونصيب محمود ستبيعه لأي شخص غيري.. حقيقة لا أعرف سبب هذا الكره الذي تكنه أمك ناحيتي.. على الرغم من أن نوال تعرف ما كان الجد يفعله مع أمها من أوامر تعسفية وإجباره الدائم أن تتصرف أمها وفق هواه ولكنها صمتت ولم تنبس بحرف.

obeikan.com

فقال الجد وهو يتأمل ملامح نوال:
- قد لا يكون في يدك شيء تفعلينه. ولكني أرغب أن تحدثي أمك في الأمر. وأن تحثيها على بيع نصيبها ونصيب محمود لي. أظنه أمرا بسيطا.
قالت نوال وهي ترى تلك النظرة في عين جدها:
- سوف أحدثها في أقرب فرصة.. هل من شيء آخر. إنني أشعر بالتعب وأريد أن أرتاح قليلا.
- ليكن.. أمر أخير قولي لها: إنه لا أحد يستطيع أن يضع يده على أرض تخص الخشن ما دام على قيد الحياة.. وإلا...
لم يكمل تهديده وهو يشير لنوال بأن تنصرف.. غادرت نوال المكتب وهي تسب في داخلها، أليس هناك شيء في الدنيا يهم جدها سوى أرضه.. وميراثها من أبيها؟ لماذا طوال العمر يعاملها هي وأمها وأخاها على أنهم دمى يحركهم كيف يشاء. وفي داخلها راحت تتساءل لماذا لم تغادر هي الأخرى مع أمها.. قاطع تفكيرها صوت عمتها فوقية التي كانت تنظر لها في هذه اللحظة نظرات متسائلة.. فبعدت نوال عن سكتها وأخذت طريقها إلى الدور الثاني وهي تسمع تمتمة عمتها:
- الهانم لا تريد أن تمد يدها في شيء يخصنا.. أمها أتلفت أخلاقها.
لن ترد، فأمامها الآن مهمة يجب إتمامها.. للحظات وقفت مترددة أمام غرفة عمها شوقي وراحت تتطلع للممر الخالي قبل أن تتحرك وتدخل الغرفة.. الغرفة ساكنة وضوء خافت من لمبة صغيرة يغلف الغرفة بجو من الغموض.. هناك مكتب صغير وضعه عمها شوقي

في أحد جوانب الغرفة.. عليه الكثير من الكتب والمجلات.
عمها بالفعل يعيش حياته وسط هذا الجو المفعم من الغموض بكتب السحر والشعوذة.
إنها لا تصدق في السحر ولكن في تلك اللحظة كانت تكاد تؤمن أن ما يحدث لها عبارة عن سحر ما.
راحت تقلب في الكتب بين يديها. والأسماء الغريبة للكتب التي أصابتها بالخوف أكثر. ما الذي يفعله عمها تحديدًا بتلك الكتب الغريبة؟
شعرت لوهلة عندما مدت يديها لتفتح أحد الكتب الذي شدها اسمه وغرابته أن هناك شيئا غريبا يحدث لها.
تشعر بأنها تدوخ والحرارة ترتفع في الغرفة بغتة.
بل إنها لم تستطع أن تقلب صفحات الكتاب وكأن هناك نارا أمسكت في يديها، فتركت الكتاب وهي تنظر له بذهول. وكلما حاولت أن تمد يدها لتمسكه اشتعل كيانها أكثر. ما الذي يحدث لها الآن؟
فجأة انطفأ المصباح الصغير في الغرفة وغرقت الغرفة في الظلام..
قبل أن تشعر بجسدها كله يرتعش والألم يزداد لأقصى الحدود..
منعت صرخة أرادت أن تفر من بين شفتيها. وهي تتحسس طريقها في الظلام تجاه زر الإضاءة.
فجأة لمع ذلك الضوء المبهر في عينيها وشعرت كأن هناك دائرة من النور تتسع وتتسع وشكل الغرفة نفسه يتغير. ما هذا؟ هل جاء لها كابوس جديد وهي صاحية؟
تغلق عينيها عندما شعرت بالحرارة الرهيبة التي تلفحها. وبدأت

obeikan.com

صورة كابوسية تقتحم كل شيء حولها وتسيطر عليها.
فتحت عينيها بعد فترة من الألم، ستحاول أن تغادر الغرفة.. لكنها لا تجد مكانا لتفر إليه.. الغرفة نفسها لم يعد لها وجود.. وأصبح العدم يحيط بها من كل اتجاه.
طلاسم غريبة ترتسم أمام عينيها، لغات متعددة تُكتب في الفراغ حولها. الحوائط تظهر عليها كتابات غريبة غير مفهومة.. هي تحاول جديا أن تفقد الوعي لتنهي ذلك الكابوس. ولكن هناك شيئا يمسك بعقلها ويحافظ على يقظتها وسط ذلك الجو الكابوسي الغريب. سترفض ما تراه وسينتهي الكابوس. لم يفلح هذا التفكير واستمر الأمر.. وللحظات شعرت أنها في عالم آخر.
كل القوانين المنطقية لا تخضع لما تراه الآن.. بدأت ألوان غريبة تلون الفضاء حولها وشعرت بقدميها تدوسان على أرضية رخوة لزجة.
تتحرك للأمام بقوة دافعة لا تعرفها.
صفحات من مجلدات صفراء تصطدم بوجهها قبل أن تتناثر كلمات الصفحات على الحوائط التي أصبحت تحيط بها.
أين هي الآن؟ تقطب جبينها بقوة واتسعت عيناها في فزع.
فجأة شعرت كأنها تغوص في ماض لا تعرفه.
الأشياء كلها لا تبدو منطقية. الكلمات المكتوبة على الحائط بجوارها داخل ذلك الممر الغريب المضيء بدت لها كأنها تعرفها من قبل على الرغم من عدم قدرتها على تفسير جملة منها.. بعد لحظة راحت تختفي تلك الصورة لتظهر فوقها سماء شديدة الاحمرار

واختفى اللون الأبيض ليحيط بها لون لا تستطيع أن تجد له مثيلا في عالمها الأرضي.. لون لامع غريب، الأرض أسفلها تحولت لمراعٍ شديدة الخضرة بصورة لم ترها سابقا.. وقفت لوهلة تتطلع حولها وعقلها في شرود تام قبل أن ترى أمامها أشخاصا يتحركون. لا تعرف من هم تحديدا، ولكن عندما نادت عليهم. التفتوا تجاهها ثم تجاهلوها وواصلوا السير في طريق طويل بدا كأنه نشأ من عدم هو الآخر.. قررت أن تكمل رحلتها الكابوسية وتطاردهم.. إما أن ينتهي الكابوس أو تصل لطريق تعرفه.

راحت تتتبع ذلك الجمع من الأشخاص الذين لم يلتفتوا لوجودها. على الرغم من أن أحدهم ألقى عليها نظرة متسائلة لثوان قبل أن يمضي في طريقه.

أي عالم مجنون هذا؟

راحت السماء فوقها تختفي بغتة.. الممر الذي سارت فيه وراء الجمع بدأ يضيق خلفها شيئا فشيئا حتى عندما حاولت التراجع اصطدم ظهرها بشيء دفعها لتواصل التحرك للأمام وبخطوات ثابتة كأنها تؤدي مشية عسكرية.. وقف الجمع أخيرًا أمام مبنى بدا لها قديمًا جدًّا. وبدءوا يدخلون فرادى. وهناك حارس يدخلهم تباعا وقد وقف ومن عينيه انطلقت نظرة متحفزة.

وبعد فترة كانت هي أيضا تجتاز الباب. لتصبح داخل ذلك المبنى العجيب الذي بدا لها الآن كقصر من العصور الغابرة.

واتسعت عيناها رعبا بعد وهلة وهي تحاول أن تزدرد لعابها بصعوبة، واضطرب كيانها كله عندما اصطدمت عيناها بتلك

الخطاطيف المعلقة فوق رأسها داخل المبنى. فقد كان فوقها تماما مجموعة رهيبة من الخطاطيف معلقًا بها أشخاص ينزفون بعنف.. ودماؤهم تسيل بلا هوادة عبر قناة صغيرة دائرية تصب في النهاية في حوض دائري ملتف حوله جمع من البشر.. وبدا واضحا أن هؤلاء الأشخاص المعلقين من أرجلهم قد تعرضوا لعذاب رهيب.. عذاب يفوق قدرة أي بشري على الاحتمال.

حاولت أن تتراجع للخلف وهي تمنع تلك الصرخة أن تخرج من شفتيها، خصوصا عندما رأت أحد الداخلين يقترب من شخص معلق ويخرج سكينا من جرابه يجرح به الوريد العنقي للشخص الذي راح جسمه يهتز للحظات وصراخه يتعالى بعنف والثاني يتلقى الدم النازف في أناء متوسط الحجم في يده. قبل أن يرفعه لشفتيه ويتلذذ بتذوق الدماء.. الواقفون حول حوض الدماء يغمسون أيديهم ويغرفون من الدماء بشغف رهيب ويمصمصون شفاههم في نشوة رهيبة.

كلا.. الكابوس يزداد فزعا، قلبها يدق بعنف غير مسبوق.

هذه اللحظة التي يجب أن تفقد فيها الوعي.

ولكنها ظلت على حالها متسمرة في مكانها وقد فقدت تقريبا قدرتها على تحريك قدميها.. تقف تتأمل ما يفعله الآخرون الذين يحذون حذو الشخص الذي رأته من ثوان يمزق عنق آخر.. وراحوا يمزقون الأوردة العنقية للناس المعلقين بخطاطيف.. ما هذه الهلوسة التي لم تزرها لأول مرة.. لا معنى آخر سوى أن العقاقير تسبب لها نوعا من الهلاوس والكوابيس وعلى الرغم من هذا تشعر بحقيقية الأمر.

تشعر بالصرخات التي تمزق كيانها. والضحكات العالية المجنونة التي تصل إلى أذنيها. أي كابوس قد يكون بهذا الوضوح وهذه الصورة.. منذ فترة قليلة كانت في غرفة مكتب جدها.. هي الآن وسط هذا الجنون الرهيب.

جسدها يشتعل بشدة رهيبة وكأن هناك من يلقي عليها الحمم.. انتبهت إلى شخص يضع يده عليها ويقرب من شفتيها إناء مملوءًا بالدم ويطلب منها أن تشرب.. تراجعت رافضة بظهرها.. ولكنه أمسك يدها بقوة وضغط عليها بعنف وهو يقرب الإناء مرة أخرى من شفتيها وبدأ يبلل إصبعا لها بالدماء.. ويبلل به شفتيها.. راحت تهز رأسها نافرة.. ولكن بعد ثانية شعرت بمذاق الدماء على شفتيها.. وشعرت أن حرارة جسدها تخفت والألم الرهيب يضرب جسدها. ولكن بعد ثوان كانت الدماء السائلة من الإناء تأخذ طريقها لجوفها والألم يخف ويخف، وتشعر بانتشاء غريب.. انتشاء شخص سكران. ولم تصدق نفسها وهي تخطف الإناء من يد الرجل وتكمل رشف الدماء بتلذذ غريب.. اللعنة.. هل هي مصاصة دماء؟

رمت الإناء الفارغ من يدها وبدت شديدة الخوف والرجل يقول لها:

- ألم تتذكري بعد؟!

حاولت أن ترد، ولم تجد كلمات فلم تنبس بحرف.. شعرت بجسدها يلتهب مرة أخرى والمبنى نفسه بدأ في التلاشي من حولها وسط صرخات الموجودين بالداخل، حاول الرجل أن يقبض على يديها ولم يستطع كأن هناك قوة أقوى منه تملكها قبل أن تختفي الصورة

نهائيا.. ستفقد الوعي بالتأكيد في تلك اللحظة.. أغلقت عينيها من الألم الفظيع الذي سار بجسدها والذي عاد أقوى من السابق مئات المرات.. ألم يفوق احتمال أي بشري، هكذا تتصور.. وعندما فتحت عينيها اختفى كل شيء.. وجدت نفسها في غرفة عمها شوقي. وكأن لا شيء حدث بالفعل وهي واقفة على بُعد أمتار من الباب.. لثوان تسمرت في مكانها تحاول استعادة رباطة جأشها. ولكنها فاقت لنفسها عندما سمعت مزلاج باب الغرفة يدور. لم يكن أمامها وقت لتبحث عن مكان تختفي فيه. ولكن هذه المرة بالفعل فاق الوهم كل تصور، فقد وجدت أخاها محمود يدخل الغرفة ومعه حفيدته. الفتاة الصغيرة وهو يقول:

- هذه الغرفة ستكون لك؟ ولكن لا تعبثي في شيء فيها فهي تخص عمي شوقي. وطوال هذه السنوات حاولنا أن نحافظ عليها على صورتها.. هكذا كانت وصية أمي.. في هذه اللحظة راحت الرؤى تختفي من أمام عينيها هي.. وتسقط في غيبوبة لا تعرف متى تفيق منها.

وهل ستفيق على شيء تعرفه وتحسه وعاشته.. أم تظل تنتقل من هلاوس لهلاوس بلا انقطاع؟

obeikan.com

(٥)

أعرف أنني ارتكبت خطأ ليس بالهين.
الرحلة إلى هذا الأمر كانت مكلفة بالنسبة لي.. أعرف أيضا أن أخي مدحت قد يكون دفع حياته نتيجة لتلك الغلطة.
منذ عشر سنوات تقريبًا، بدأ هذا الحلم يراودني. يجعلني أفكر فيه ليل نهار. ماذا لو كان هذا ممكنًا.
بالأحرى لو كان باستطاعتي أن أفوز بتلك الصفقة. الطمع هو من جلب كل هذه الكوارث.
لم أكن أعرف الحقيقة قطُّ بصورة كاملة.
بدأ الأمر كله من هناك. تلك الرحلة الغريبة.. سيارتي تقطع الطريق بسرعة مجنونة، لقد اتصل بي شوكت وقال: إنه وجده.. ذلك الكتاب الذي بحثنا عنه كثيرًا في كل مكان.. لقد اشتراه من مزاد في قبرص.. مزاد مشبوه غريب.
لم أصدق شوكت في البداية. شوكت صديقي المهموم مثلي بذلك العالم الغامض الغريب، ولكنه ليس مثل همي به. هل في خلال سنتين فقط يستطيع الوصول إلى الكتاب وأنا من أضاع عمره في

obeikan.com

البحث عنه لا يصل؟

أركن السيارة أسفل بيت شوكت.. الدنيا ماطرة وسحب رعدية تضيء المكان من وقت لآخر. الجو أقرب إلى قصص الرعب القوطية وأنا أصعد الآن لشقة شوكت، إنه يسكن في الدور الثالث.. أقفز الدرجات قفزا في طريقي إليه.. أتذكر تلك المحادثة بيننا حينما كان ينكر وجود كتاب من هذا النوع. من مجنون ليكتب كتابا كهذا وعلى رقع مثل هذه.. وقال إنها أساطير. القصة كلها عبارة عن أسطورة تداولتها بعض كتب السحر القديمة.. أطرق الباب بهدوء وأنا أهمس بصوت خافت:

- شوكت.. افتح.. لم أتلق ردًّا من الداخل فشعرت بالقلق.. أعدت مرة أخرى طرق الباب، ولكن الهدوء ظل مسيطرا على الداخل.. ما الذي حدث.. هل نام.. مستحيل.. أخبرته أن ينتظرني.. هل أنزل لأتصل به من أقرب محل مفتوح. تذكرت بغتة أن شوكت يضع نسخة دائمة من مفتاح شقته تحت «مشاية» الباب.. بحثت بيدي حتى وجدت المفتاح بمكانه كما توقعت.. ما زال يحافظ على عادته.. أدرت المفتاح في ثقب الباب وأنا أدفع الباب ببطء لسبب لا أعرفه. دخلت للشقة واتسعت عيناي فرقا وأنا أتراجع بظهري للوراء.. فالشقة تبدو في حالة ترثى لها، وكأن هناك شيئا حطمها تماما.. بحثت عن شوكت في الصالة ولكن عيني لم تصطدما سوى بالخراب في المكان. هل فعلها شوكت؟!

لم أعط لعقلي فرصة كبيرة في التفكير وأنا أقتحم غرفة نوم شوكت، وقتها ارتجف قلبي بين صدري بفزع مميت وتراجعت للخلف

ذاهلا. فقد كان شوكت أو ما تبقى من جسده ممزقا لأشلاء صغيرة، ودماؤه تغرق كل شيء في الغرفة.. حتى جدران الغرفة بدت كأن هناك شخصا قد استخدم الدماء لدهانها. اللعنة!

تراجعت مرة أخرى خطوات للخلف وأردت أن أفر بعمري.. ما الذي حدث؟

آنذاك تذكرت الكتاب. لقد رأيته بالفعل وسط هذا الهول.. وأسفل ذراع شوكت المبتور عن جسده وجدته. لم أنتظر بعدها ثانية وأنا أسحب الكتاب من تحت الذراع المبتورة وأفر من البيت بصورة جنونية.

كل شيء يدل على أن شوكت عبث في الكتاب.. وقرر أن يجرب حظه. ليته ما فعل.. بالتأكيد حاول استخدام تعويذة منه فحدث ما حدث. لا يوجد شيء طبيعي يستطيع أن يفعل بإنسان ما رأيت عليه جثة شوكت.. لا شيء.

الكتاب على الكرسي الجانبي لسيارتي.. أعرف قصة هذا الكتاب جيدًا حسب أسطورته.

إنه خليط من تعاويذ سحرية عجيبة وخطط شيطانية إذا تعامل معها شخص غير مسئول فسيجلب وبالا لا قبل لنا به. ذلك الكتاب المصنوع بالكامل من جلود الموتى.. لا أعرف ما الذي جلبه شوكت إلينا بالضبط لا بدَّ أنه شيء مدمر وقديم منذ الأزل، وهل يتابعني الآن وأنا أفر بالكتاب.. بالتأكيد أن الشيء الذي فعل بشوكت هذا سيكون غاضبًا.. وراغبا في الانتقام لجلبه من عالمه هكذا. اللعنة على شوكت وتهوره.. كان عليه أن ينتظر.. حمدا لله أنني حصنت نفسي

obeikan.com

ضد شرور هذه الأشياء.
لم أعرف كيف قطعت كل هذه المسافة حتى وجدت نفسي أمام الفيلا.. السماء مظلمة.. والمطر لا يتوقف.. وصوت نباح كلاب قوي.. أبواب الفيلا أمامي.. تلك الفيلا التي أصر أبي مراد الخشن أن تكون في تلك المنطقة البعيدة عن العمران.
توقفت الفتاة الصغيرة عن القراءة عند تلك الجملة وقلبها ينبض في عنف.. وهي تغلق تلك المفكرة التي وجدتها مخبأة بطريقة مدهشة بين الكتب في غرفتها.. أو الأصح وسط غرفة هذا المدعو شوقي عم جدها.. لقد حذرها جدها من العبث بالأشياء التي تخص عمه شوقي ولكن منذ متى وهي تسمع الكلام.. وتساءلت فيلا مراد الخشن؟ إنها نفس الفيلا التي تسكنها مع أمها وأبيها الآن وجدها وأخويها.. من كاتب تلك المذكرات حقا. إن جسدها يرتعش بالكامل هل هي قصة حقيقية؟
وإذا كانت قصة حقيقية من كتبها؟
لقد قال جدها: إن هذه الغرفة كانت تخص عمه شوقي.. فهل هي مذكراته؟
شيء يدعوها أن تكمل القراءة. شيء يتغلغل في مشاعرها، وجدت رغبة كاملة في معرفة تفاصيل الحكاية أكثر.
سمعت طرقات على باب غرفتها، أخفت المفكرة تحت وسادة سريرها وهي تقول:
- ادخل؟
وجدت جدها يدخل الغرفة بخطوات وئيدة، تطلع لها لثوان قبل

أن يقول:
- أتمنى أن تكون صغيرتي قد أحبت غرفتها.. قالت الفتاة بهدوء حتى لا تلفت نظره لشيء:
- نظامها قديم ولكنها ملائمة.. قال جدها بصوت مليء بالحنو:
- أعرف أنك تفتقدين أصدقاءك بالخارج. ولكن عالم الكمبيوتر والنت يقلل المسافات كثيرًا. أليس كذلك؟
قالت الفتاة وهي تومئ برأسها:
- أبي للآن لم يعطني جهاز الحاسب الآلي المحمول الخاصة بي. يقول: إنه يعاقبني لأجل تصرفاتي.. وسوف يعطيه لي عندما يروق باله وألتزم بكلامه.
قال الجد وهو يربت على كتفها:
- لا تقلقي، سأخبره أن يعطيه لك.. والآن من الأفضل أن تنامي.. هيا إلى سريرك يا صغيرتي.. قالت الفتاة في تردد:
- لكني أريد أن أتحدث معك أكثر.. ابتسم الجد وهو يضعها كالأطفال في سريرها وهو يقول:
- غدا سنزور معا العزبة وسنتحدث لساعات. والآن إلى النوم.
غادر جدها الغرفة وأغلق الباب خلفه.. انتظرت حتى سمعت خطواته تبتعد عن المكان ثم أخرجت تلك المفكرة من أسفل وسادتها. وراحت تقرأ. انتبهت للتاريخ المدون على المذكرات.. فبراير ٥٦.. وأضاءت نور الأباجورة بجانبها وهي تهمس لنفسها:
- أكل هذه السنين لم تقع هذه اليوميات في يد أحد؟!
وراحت تكمل القراءة.. «الفيلا هادئة في تلك الساعة.. كلهم تقريبا

نائمون. أحمل الكتاب بيدي وأنا أرتعش فما زال منظر شوكت يضرب عقلي بشدة ويجعلني متوجسا خيفة مما قد يحدث بعد هذا.. كان من المستحيل أن أترك الكتاب مكانه فيقع في يد أحد غير مسئول فيعبث به.

صعدت إلى غرفتي في الدور الثاني، أغلقت الباب من الداخل بالمفتاح.

وضعت الكتاب على مكتبي الصغير.

وأنا أتخيل الشيء الذي جاء به شوكت لعالمنا. إن هذا الشيء مرتبط بالكتاب بصورة ما. إنني أعرف الأسطورة التي تقول: إن التخلص من هذا الكتاب عن طريق الحرق لا يصلح، ولكنني قد أضطر إلى تجربة هذا في لحظة ما. أتحسس ملمس الكتاب والجلد البشري المصنوع منه ويقشعر جسدي، يزداد عجبي أي ساحر ملعون استطاع أن يجمع جلود الميتين بهذه الصورة ليخط تعاويذه الخاصة عليها.

لم أكن أعرف أن بقراءتي لهذا الكتاب أفتح أبواب الجحيم علينا. الحروف التي قد تبدو للآخرين غريبة هي من أهدرت عمري في قراءتها لذا بدأت الكلمات معروفة لحد كبير وإن شابها الغموض. والتعاويذ لا تحتاج إلا إلى بعض الجهد والوقت لفك طلاسمها. القصة الأكبر التي كنت أريد معرفتها هي قصة الكتاب نفسه، وهل هي حقيقية. الأسطورة تقول إن جابر بن بكير كان عبدا حبشيا جلبوه ليباع في سوق العبيد كآلاف العبيد التي كانت تباع في ذاك الزمن القديم. وأثناء عرضه في السوق مرت الأميرة عويدة فانتبهت

لقوته البادية على ملامحه فقد كان طويل القامة معتدل القوام. عيناه واسعتان جذابتان تشعان ذكاء.. راحت تتطلع له الأميرة لدقائق عديدة حتى شعرت بشيء تجاهه.. وقتها أمرت جاريتها أن تعطي للنخاس الثمن الذي يطلبه للعبد وأمرت حراسها أن يجلبوه. بدا جابر وقتها متنمرا والحراس يدفعونه ليمشي وراء موكب الأميرة. إنه يتذكر أيامه في بلدته وزوجته السمراء وكيف اصطاده النخاسون وقادوه عنوة إلى القاهرة. كانت نغزات الحراس تدفعه للتحرك أكثر وهو يزوم في شدة.. اللعنة على النخاسين وقُطَّاع الطرق.. ولوقت ما كاد يسب لون بشرته لأنه السبب لما هو فيه الآن من قمع وتسلط. يشعر بملمس الأرض الخشنة تحت قدميه ويشعر بالحصى وهو يكاد يمزق قدميه وهو يسير خلف الموكب ما زال مقيدا في سلاسله. استمر الموكب في المضي. أخذ جابر يتطلع إلى شوارع القاهرة وإلى الحوانيت والباعة الذين يقفون داخل دكاكينهم يدعون الأميرة للدخول.. فتشير بأصابعها للحراس فيرمون قطعا من الدنانير على المارة وأمام الحوانيت. وتتسع ابتسامتها على تكالب الأطفال لخطف الدنانير من بعض.. ثم يعود الموكب للسير. جابر مدفوع بقوة الحراس للمضي قُدما.

بعد فترة بدت لجابر طويلة كان هناك ذلك القصر الضخم وبابه الكبير، فدلفت الأميرة بالموكب وعيناها تتأمل الحديقة الغناء.

القصر مليء بالحسان من جميع الأجناس.. من الجلي أن الأميرة تحيط نفسها بالجواري الحسان.. وعلى الرغم من هذا تبدو أكثر فتنة وجمالا منهن جميعا.. وكأنها قدَّت من جوهرة ثمينة.

تحركت الأميرة إلى داخل القصر. بينما أخذ الحراس جابر إلى حجرة ضيقة في آخر الحديقة.. بالكاد تتسع الحجرة لجسده واقفا وبدت له كزنزانة.. فتح بابها.. ودفع الحراس جابر ليدخل.. كانت طريقة الأميرة في الأول ليخضع بعد ذلك.

تأمل جابر وقتها مكان حبسه الجديد، وراح يزمجر في عنف وهو يضرب الجدران بيديه حتى شعر بالدماء تنزف من قبضته ولكنه لم يتوقف وكأنه سوف يحطم الجدران بقبضتيه العاريتين.

بعد ساعة استمر جابر يخبط فيها على باب الحجرة المغلقة والحوائط أتت جارية بصحبة حارس تحمل صينية عليها الكثير من الطعام.. ناولت جابر صينية الأكل وتراجعت وفي عينيها رأى جابر نظرة غريبة غامضة.. ربما نظرة مشفقة.

لثلاثة أيام كاملة تأتي الجارية لتضع له صينية الأكل، وترمقه بتلك النظرة الغريبة التي لم يفهمها. في البداية رفض جابر الطعام. كان شعوره بالحبس يلهب مشاعره. ولكن عندما قرصه الجوع اضطر للأكل حتى يسكت الألم الذي زاد في معدته.

في سابع ليلة دخل عليه الحراس مدججين بالسلاح.. وجد جابر أن مقاومته لهم لم تعد لها فائدة، فلزم الصمت وهم يسحبونه من سلاسله إلى داخل القصر.

بدا له القصر من الداخل بزخرفته وزينته كشيء من الأساطير.. فهو لم ير هذا البذخ من قبل.. من تكون تلك المرأة التي اشترته. أو بالأحرى من تكون سيدته اليوم.. بعد فترة قطع فيها ممرا طويلا وجد نفسه داخل غرفة بها شخص يفوقه حجما وبدا له كعملاق..

قرب الحراس جابر من هذا الشخص الذي أمر بفك قيوده.. وأمره أن ينام على ظهره على منضدة بوسط الغرفة.. وبعد لحظات وجد يد هذا الشخص تفحص كل جزء في جسده.. قبل أن يهزَّ رأسه برضا.. فهم جابر أنه يخضع لنوع ما من الكشف الطبي. وبعدها بمدة قليلة طلب منه هذا الطبيب العملاق أن يدخل لغرفة الحمام وجلب له أحد الحراس رداءً جديدًا.

دخل جابر الحمام وخرج منه كشخص آخر. الثياب الجديدة أعطته هيبة رهيبة وقد زالت عنه رائحة العرق والتعب. ورشت جارية على جسده عطرا فواحا أشعره بالانتعاش والقوة.. استسلم جابر للأوامر التي تصدر إليه، فقد عرف أن عدم تنفيذه للأوامر قد تعرضه لعقوبات قد تصل إلى القتل. فهو ملك الأميرة الآن ويجب أن يمتثل لأوامرها.

وخصص لجابر غرفة صغيرة في نهاية القصر. عليها حارسان. ولمدة أسبوعين تقريبا لم يكن يفعل شيئا سوى الأكل والاستحمام والتعطر. وبعد هذين الأسبوعين جاءت له جارية وأخبرته أن يحضر نفسه للذهاب إلى قصر المعمور.. لم يعرف ما هو القصر المعمور ولكنه هزَّ رأسه.

وفي صباح تلك الليلة تحرك موكب الأميرة باتجاه قصر المعمور.. لنصف يوم تقريبا ومع غروب شمس هذا اليوم. كان جابر يدخل إلى قصر المعمور وبصحبته الحاشية. بدا له هذه القصر الجديد أقل بذخا. ولكن شيئا بداخل جابر جعل قلبه ينقبض من منظر هذا القصر.

ربما لأن الأميرة لم تهتم أن تضيء القصر بصورة أكبر. وكانت المشاعل على الجوانب قليلة.. بعد ساعتين من دخوله القصر واستقراره في غرفة.. جاءته الجارية المكلفة بأكله وشربه وملابسه ودعته لمقابلة الأميرة.. بعد دقائق كانت الجارية تفتح له باب حجرة الأميرة وتطلب منه الدخول. تسمر لثوان على باب الحجرة حتى ربتت الجارية على كتفه وهي تشير له للداخل. دخل. وسمع صوت الباب وهو يغلق. إنه في حجرة الأميرة بالتأكيد وهي تجلس على السرير ترتدي ثوبا أحمر اللون يبدو شفافا.. المفاجأة كانت قوية بالنسبة لجابر. حاول التراجع ولكن الأميرة طلبت منه أن يقترب.. بعد لحظات كان جابر والأميرة في وضع عشق. إن قلبه ينتفض بعنف وهي تقبله من شفتيه في شهوة. ولكن قلبه ارتجف بعنف عندما شعر بتلك الشوكة الصغيرة تغرس في عنقه بيد الأميرة. وبدأت الدماء تنسال من جرحه. وضع يده على الجرح وبدا مرتعبا عندما حاول مقاومتها وجد أن قوتها تفوقه بمراحل وبدت له كمارد ضخم ذي قوة جبارة.. قربت بيدها كأسا إلى عنقه المجروح وراحت تتلقى قطرات الدماء التي سالت منه.. وبعد فترة دخل حارسان ليحملاه إلى غرفته. وجاء الطبيب إليه. وضمد جرحه وربت على كتفه وخرج.

لم يفهم جابر حقيقة ما يجري في البداية. ولكن لمدة خمس ليال. كانت الجارية تدفع به ليد الأميرة التي تأخذه في حالة عشق لا يستطيع مقاومتها.. وترتشف دمه بعدها.. ولكنها لا تسمح لنفسها أن تفقده. ظن لوهلة أن الأميرة تعشقه حقًّا ولكن أي جنون تمارسه عليه. نصحته الجارية التي تشرف على أكله بالهرب إن استطاع

ولكن دوما غرفته عليها حراس أقوياء وبدت تلك الجارية غير راضية عما يحدث له بل لمعت في عينيها نظرة لو فسرها جابر لقال إنها تحبه. في اليوم الأخير من الأسبوع الأول وجدهم يدخلون عليه.. ويسحبونه بالقوة، لمح نظرة الشفقة في عين الجارية والحراس يقودونه إلى غرفة كبيرة أسفل القبو.. غرفة كانت رائحتها منفرة وبشدة وقابضة.

نظرة واحدة إلى الغرفة جعلته يتقيأ كل ما في معدته.

فقد كانت هناك خطاطيف كثيرة معلق بها بشر من مختلف الأجناس.. بعضهم يتلوى من الألم وهو يصرخ ويتمتم بلغة غير مفهومة. وبعضهم فارق الحياة وقد تشوهت معالمه. وفي منتصف الغرفة كانت الأميرة واقفة وعلى شفتيها ابتسامة غريبة وبين يديها جلد بشري.. نعم كان بين يديها جلد بشري. جلد أحد عشاقها السابقين.. وبجانبها كان يقف هذا الطبيب العملاق وفي عينيه انطلقت نظرة بها كل جنون العالم.. حاول جابر المقاومة وهو يضرب أقرب الحراس إليه وقاتل لبعض الوقت ولكنهم تكالبوا عليه.. وبعد مدة وجد نفسه معلقا بالمقلوب عن طريق خطاف اخترق قدميه، واقتربت الأميرة منه وهي تبتسم.. قبل أن تمد يديها بسكين لتغرسها بمهارة في عنق جابر وتتلقى الدماء في كأس كبيرة تحملها. وبدا لجابر قبل أن يفقد الوعي بلحظات أن هذه الأميرة الساحرة تمارس أبشع أنواع السحر. وحولها معاونوها.. نوع من السحر يستدعي كل شياطين الجحيم.. فقد شعر أنه رأى مخلوقات بشعة وهو بين الوعي واللاوعي.. مخلوقات لا تمت لعالم البشر بصلة.

لم يعرف جابر كم مرَّ عليه من الوقت بعدها. ولكنه أحس بهزة العربة التي تجرها الخيول وهي تمرق في طريق جبلي.. لقد كان يشعر بكل جسده يؤلمه ويشعر بضعف رهيب. ولا يفهم كيف خرج من القصر وإلى أين يتجهون به. تحسس الأجساد الملاصقة له. وجدهم جميعًا قد غادروا الحياة.. فلزم مكانه صامتا على الرغم من الألم الذي ينتشر في أنحاء جسده ويزداد كل لحظة.

وبعد مدة كان الحراس يلقون بالجثث إلى الصحراء. فمثل الأمر أنه أيضا ميت حتى لا ينكشف أمره. هل غرق في غيبوبة طويلة فظنوه قد مات؟! كان مشوش الفكر. وجسده يؤلمه لأقصى درجة وجروحه مقيحة.. والدماء متخثرة على جسده. تطلع جابر بذهول بعد ذهاب الجميع إلى بطنه.

وصرخ في فزع رهيب فهناك من سلخ جزءا مستطيلا من جلد بطنه بآلة حادة».. يجب أن أنتهي من كتابة هذه اليوميات بسرعة فهي قد تكتشف الأمر في أي لحظة. لم أكن أعرف أنني بجلبي للكتاب لهنا قد بدأت القصة من جديد. ما الذي أدراني وقتها أن كل شيء كان من أجل أن أجلب الكتاب لهنا لفيلا الخشن. فكل الوصف لقصر المعمور والإحداثيات التي ذكرت في كل الكتب الصفراء القديمة تقول تقريبا إن مكانه كان نفس هذا المكان الذي أقام عليه والدي فيلتنا.. تسمرت عينا الفتاة على تلك الفقرة الأخيرة في تلك الصفحة من المذكرات.. وارتعش جسدها وهي تبلع ريقها بصعوبة.. وتلتفت برأسها في المكان حولها وعيناها متسمرتان على الحائط ولوهلة شعرت أن هناك من يراقبها. ولكن لا شيء بالغرفة

حقًّا، هذا ما قالته لنفسها وهي تدس المذكرات أسفل مرتبة السرير.
ربما كانت ستفقد الوعي لو شعرت لوهلة أن هناك سيدة تبدو في منتصف العشرينات كانت تقف خلفها تقرأ معها نفس المذكرات سيدة تحمل نفس الاسم ولكنها من زمن آخر.. قبلها بكثير.
لم تعرف الفتاة متى غرقت في النوم ومتى بدأت الكوابيس تطاردها بعنف.
بينما وقفت نوال تراقب الفتاة في ذهول متسائلة لمتى سيستمر هذا الجنون؟!

obeikan.com

obeikan.com

(٦)

هل أصابها الجنون؟!

ما تمرُّ به هذه الأيام يجعلها تعتقد أن عقلها يمرُّ بنوع خاص من الجنون.. إنها لا تستطيع أن تعترف لأحد من العائلة بما يحدث لها، فلن يصدقها أحد.. كيف تعيش في زمنين مختلفين وبنفس صورتها، إنها ترى نفسها في عام ٥٦ حيث فيلا الخشن جدها وحيث أفراد عائلتها، وفجأة ينتقل بها عقلها لعالم آخر. تشعر بأنها تراه وتعيشه ولكنها لا تشارك فيه. عالم عجيب بكل مفرداته. وأصبح الفصل بين العالمين بالنسبة لها أشبه بالجنون فهي لا تعلم متى تكون في ذاك الزمن ومتى تنتقل لعالم المستقبل.

المذكرات التي قرأتها من وراء ظهر الصغيرة وتخص عمها شوقي فتحت أمامها خيالا من الجنون المطلق.

إنها تنتظر الفرص الآن لتخلو بنفسها في حجرة عمها شوقي.. لقد فتشت الغرفة جيدًا ولكنها لم تصل لليوميات بعد.. بالتأكيد هو يخفيها في مكان ما.. لن تمل البحث. ستصدق جنونها لآخر لحظة.

للمرة الخامسة تفتش الغرفة.. عندما شعرت بأن دولاب الملابس

أرضيته مجوفة.. خبطت على قعر الدولاب أكثر من مرة.. وسمعت الصوت الذي يؤكد ظنها.. راحت عيناها تبحثان وتتحسس بيديها قاع الدولاب. حتى وجدت ذلك البروز الصغير فضغطت عليه بيدها فارتفع لوح صغير من القاع وظهرت أمامها تلك الفجوة. جفلت للحظة وهي تتطلع للشيء الموجود بالداخل. إنها تكاد تجزم أنه الكتاب المصنوع من جلد الموتى الذي قرأت عنه في اليوميات.. شعرت بأن نيرانا تشتعل بكيانها وهي تتطلع للكتاب بذهول. لماذا يخفي عمها كتابا كهذا لماذا لم يتخلص منه.. مدت يدها بدافع الفضول نحو الكتاب. ولكن عندما لمست أصابعها الكتاب شعرت كأن ثمة قوة رهيبة تسحبها للخلف. وتوقعت أنها سوف تصطدم بجدار الغرفة. ولكن مر وقت وهي تشعر بجسدها مسحوبا بقوة لا قبل لها بمقاومتها. وانطلقت صرختها قوية وهي ترى الكثير من الألوان العجيبة تمر أمام عينيها وذاك الممر العجيب بالكتابات الغريبة على جانبيه وشعرت أنها تهوي من مسافة شاسعة لفراغ بلا نهاية.. وبعدها وجدت جسدها يصطدم بالأرض بعنف وقسوة. شعرت بالآلام في كل جسدها. أين هي؟!

القمر فوقها نصف مضيء.. والسحب الرمادية تكلل السماء. وأسفل قدميها أرض زراعية.. سمعت صوتا تعرفه فتراجعت للخلف لتنظر للقادمين.. ثم بلعت ريقها بصعوبة.. مستحيل!

جاءها الصوت الذي ميزته في البداية قائلا:

- إنني لا أعرف كيف أتصرف.. كل الكتب التي جلبتها لا توضح لي كيف أتخلص من هذا الشيء.. وكل الدلائل تقول إنه أتى خلفي

للفيلا.. ولكنه ساكن للآن وكأنه ينتظر أمرا ما لا أفهمه.
كان المتكلم هو عمها شوقي ولكن الرعشة التي طالتها لبعض الوقت وهي تختفي حتى لا يروها عندما تكلم الآخر والذي عرفته من صوته وملامحه قائلا:
- أنت السبب في كل ما يحدث الآن.. كثيرًا ما حذرتك من مغبة اهتمامك بهذه الأشياء.. أبي لو علم ما تفعله ربما غضب علينا لدرجة لن تتصورها أنت.
بلى.. كان المتكلم هو مدحت مراد الخشن.. أبوها.
قال شوقي لأخيه بتخاذل:
- ولكنك ستقف بجواري بالتأكيد.. يجب أن أكمل أبحاثي وإلا.. قال مراد بقسوة:
- أتهددني؟!
فأجابه شوقي بصوت هامس:
- كلا بالطبع.. مستحيل أن أهددك.. ولكن هذا الشيء قد يكون تهديدا لنا جميعا.. وأنت بالطبع أدرى مني بهذه الأمور.. أنت من علمني كل شيء عن هذا العالم المجنون.
فقال مراد بصوت غاضب:
- علمتك نعم.. ولكني في الوقت نفسه حذرتك منه.. ولكنك لم تسمع مني.. والآن. هل الكتاب معك؟
فتح شوقي حقيبة صغيرة يحملها وهو يقول:
- هل أنت متأكد أن هذه الطريقة ستؤدي لنتيجة.
قال مراد بلهجة مترددة:

- أتمنى أن يكون له نتيجة وإلا..... فجأة راحت الصورة تهتز أمام نوال وتختفي والأصوات تتباعد وشعرت وكأن شيئا يطمس على عينيها وأذنيها.. صرخت وهي تشعر وكأن هناك من يضع أسياخا من الحديد المحمى على جلدها.. وواصلت الصراخ لفترة.. وبدأ الألم يخف تدريجيا.. فتحت عينيها بضعف. وراحت تتأمل ما حولها. إنها تقف على حدود المقابر.. تسمع صوتا يتخلل أذنيها بقوة وتبدو الكلمات الواصلة إليها على الرغم من غرابته مفهومة.. إنه صوت أبيها.. هي متأكدة من هذا.. اللغة غريبة حقًّا.. ولكنها شعرت كأنها كلمات لاستدعاء شيء ما.. كلمات من تعويذة قديمة من كتاب ملعون.. «سرييم.. بلنتيما.. فيسليبا.. كورستيم.. فكنثيمان.. طوخشتان.. جابر.. جابر.. سريوليتم.. بوخشيدما».

جسدها يرتعش بخوف رهيب.. والكلمات تزداد علوا وهي تقترب من مكان قائلها بخطوات وئيدة.. مرة أخرى تشعر بالألم يضرب جسدها بعنف.. والصور تتغير.. إنها ترى زوجها رأفت أو تكاد تراه يمر من أمامها.. ترى طفلتها رانيا الرضيعة التي فقدتها.. تشعر بأن هناك شيئا يعتصر قلبها. هناك شيء يعصف بكيانها كله. أغمضت عينيها بشدة واستسلمت للألم الذي راح يتزايد ولأقصى درجة.

هذه المرة عندما فتحت عينيها وجدت نفسها لا تزال في غرفة عمها شوقي.. جسدها مفرود على أرضية الغرفة. تحسست رقبتها. تشعر بألم حاد في كل جزء من جسدها.. من الأفضل لها أن تستسلم لهذه الهلاوس. وتقول لهم إنها جنت ليجدوا لها علاجا ولكن بهذه الصورة ستموت قبل أن تفهم ما يحدث.

الكتاب. تذكرته فقامت تجري تجاه الدولاب المغلق.. إنها لا تتذكر أنها أغلقته. فتحت الدولاب.. تأملت أرضيته من الداخل.. ومدت يدها لتبحث عن البروز الصغير. وجدته وضغطت عليه. ومرة أخرى ظهرت لها الفجوة الصغيرة. ولكن عينيها جحظتا بشدة وهي تتأمل الفراغ داخل الفجوة فلم يكن للكتاب أي وجود.. ما هذا الشيء الذي يلعب بها؟

ما هذا الشيء الذي كان يستدعيه والدها؟

كيف لم يحدثها أحد من قبل عن اهتمام والدها بهذه الأمور العجيبة؟

امتقع لون وجهها وهي تحاول تذكر حديث عمها وأبيها. ذلك الحديث الغريب الذي لم تكن تدري عنه شيئا قطُّ.

شعرت لوهلة بارتجاف جسدها لأقصى درجة، قبل أن تغادر الغرفة. نزلت إلى البهو كانت صفية زوجة ثابت ابن عمها تجلس بجوار الراديو تسمع أغنية لأم كلثوم. ويبدو الاستمتاع على ملامحها وهي تهزُّ رأسها.. عمتها فوقية تذهب إلى المطبخ وتعود وهي ترص أشكالا متنوعة من الطعام على مائدة السفرة.. بينما تتبعها سعاد كظلها.. جدها في المكتب مندمج وسط الأوراق والمستندات، بينما عبد الفتاح زوج فوقية بالخارج على المقهى. وثابت لم يعد من المستشفى بعد، وعمها شوقي عندما سألت عليه أخبروها أنه مسافر للقاهرة وسيعود في الغد.. بعد نصف ساعة تقريبا كان من بالخارج قد عادوا فيما عدا شوقي. والتفوا حول مائدة الطعام.

تقريبا لم يلتفت أحد لوجودها ولم يقل لها أن تفعل شيئا. دعتها

فقط سعاد للمائدة بهدوء بالغ. الجد في مكانه المعتاد وصمت يلف الحاضرين لا يقطعه سوى صوت الملاعق والشوك وصوت الطعام وهو يمضغ في الأفواه. بعد مدة بدأ ثابت الحديث قائلا:

- إنني لا أفهم ما الذي يحدث هذه الأيام.. حالات كثيرة من الأنيميا ترد إلى المستشفى. حالات من شحوبها تظن أن أهل العزبة لم يتناولوا الطعام في حياتهم قط.

ابتسم الجد وهو يقول:

- وما الجديد في ذلك. العزبة يسكنها الكثير من الفقراء. وسوء التغذية يسبب لهم الأنيميا.

قال ثابت معترضا:

- كلا.. الأمر في البداية ظننته كما قلت أنت. ولكن بعد فترة لاحظت وجود علامات غريبة في أجساد الأهالي.. لا أجد لها تفسيرا سوى أن بعضهم يتلذذ بتعذيب نفسه وجرحها حتى ينزف. الأمر غريب حقًّا.

قال عبد الفتاح بغرور:

- أهل العزبة ساديين بطبعهم.. ربما كان هذا من جراء مشاجرات تحدث بينهم.

أجابه ثابت وهو يحملق فيه غاضبا:

- أهل العزبة من الفقراء.. ومعظمهم لا يجد العلاج فهل تظن أن شخصا ليست لديه قدرة على نفقات العلاج أن يمارس التعذيب على جسده.. قال الجد محاولا إنهاء الحديث:

- يكفينا كلام عن المرضى.. بدا ثابت هادئا وهو يقول:

obeikan.com

- إنكم لا تفهمون ما يحدث.. قررت أن أبلغ المباحث. هناك أمور تحتاج لتفسيرات ووظيفتي لا تسمح لي باستجواب المرضى.. وأغلبهم ينكرون ما أصابهم.. ويبدون ذاهلين لا يعرفون السبب الرئيس لحالتهم.

قالت صفية وكأنه أصبح لها حق الكلام:

- ستجلب لنفسك الصداع ووجع الدماغ.. قم بعملك فقط.

قال ثابت بتحفز غريب:

- هذا عملي.. عملي أن أعالج هؤلاء الناس وأحافظ على صحتهم.

لماذا شعرت نوال أن ما يتحدث عنه ثابت ليس غريبا عليها. وصفه لوجوه المرضى وحالتهم القريبة من الموت قرأتها أو سمعت عنها من قبل.

بعد لحظات من الهدوء ومع نكزة لقدمها من قدم عبد الفتاح الذي رسم ابتسامة بلهاء على شفتيه جعلها تستأذن الجميع بالصعود إلى غرفتها.

ابتسمت وهي تدخل الغرفة وتحمد الله أنها تعيش للآن حياة عادية في هذا الزمن وأن كوابيسها عن زمن آخر قد ذهبت. وتمنت أن تكون الكوابيس قد ذهبت دون رجعة.. هل تعود لغرفة عمها شوقي. إنه لن يعود قبل الصباح من القاهرة من حقها أن تواصل بحثها عن الكتاب العجيب «كتاب الموتى» كما أطلق عليه.

أو على الأقل أن تعثر على اليوميات لو كان لها وجود حقًّا.. وفي النهاية قررت أنه لا خطر من المحاولة، ما زالت تنجو للآن من كل هذه الكوابيس.

obeikan.com

بعد لحظات كانت تدير مقبض الباب.. دخلت الغرفة بهدوء. ولكنها شعرت بذلك الألم الممض في جسدها مع أول خطوة لها بالداخل، وشعرت كأن هناك عينا ترقبها، وأحست كأن هناك طاقة من الهواء اللافح تضربها بعنف. هل رجعت للهذيان مرة أخرى.. ستقاوم تلك الحالة وستكمل الأمر.. ولم تكد تحرك قدمها مرة أخرى حتى شعرت كأن هناك المئات من أسياخ الحديد المحمى يصهر جسدها وللحظة ظنت أن جلد جسدها سيذوب.

ومع ارتفاع صرختها هذه المرة. وجدت حدود الغرفة تتلاشى.. وبعد لحظات وجدت نفسها تلهث وكأنها جرت مئات الأمتار.. كل هذا لم يثر حيرتها بقدر الملابس التي كانت ترتديها، ملابس لا تمت لعصرها بصلة. وأمام عينيها امتدت صحراء شاسعة وظلام مقبض وخلفها شعرت بهذا النفس الحار فالتفتت فوجدته خلفها.. حصان قوي ينخر بمنخريه.. وجدت يدها تربت على رقبة الحصان فهدأ في مكانه. ما الذي أتى بها إلى هنا؟

إنها تعرف.. العجيب أنها تعرف.

وبعد لحظة كانت تشعل مشعلا كان موجودا بجراب معلق في رقبة الحصان وبعد عدة دقائق سيرا في ضوء المشعل وجدت ذاك المكان الذي تقصده.. المكان الذي تعودت سيادتها أن ترمي فيه ضحاياها. ومن بين الجثث الكثيرة الملقاة أمامها.. وتلك الرائحة المقبضة التي تلهب الجو راحت تنظر للجثث بتريث.. ومن خلف تلة قريبة كانت هناك عينان تراقبانها في تحفز.. عينان لشخص جريح.. مسلوخ جلد البطن.. وبعد وهلة كان هذا الشخص يجري ناحيتها وفي عينيه

لمعت نظرة الانتقام والجنون.. وعلى بعد أمتار منها وهو يهجم التفتت بسرعة وهي تقول بصوت حاسم:
جابر.. توقف هذا الشخص الضخم عند سماع اسمه وراح يتطلع لملامحها على نور المشعل وبدا أنه عرفها.
قبل أن ترتفع من بين شفتيه صرخة رهيبة تشق عنان السماء.
صرخة تحمل من الألم ما يفوق قدرته. قبل أن يجثو على ركبتيه.. ناظرا إليها في رجاء.
وبينما تقترب منه راحت صور كثيرة تطاردها.. صور لها في قصر المعمور حيث كانت الجارية المشرفة على مأكل وملبس جابر.. صورة لها وهي ترشي حارسا خاصا ليحمل جابر وهو فاقد الوعي بين الجثث لمكانه هذا.
صورة لها وهي تراقب سيدتها الأميرة بغيظ ولا تستطيع التذمر.
صورة لها وهي تخبر الأميرة بموت جابر. فتهزُّ الأميرة رأسها وكأن شيئا لم يكن.
صورة لها وهي تتابع موكب الجثث بحصانها من بعيد.
صورة لها في زمن آخر.. قد كانت تظن أنها لا تعرفه لتجد نفسها فيه بكل تفاصيله الفظيعة والمرعبة.
أي جنون آخر سوف يصادفها الآن.

obeikan.com

(٧)

ظل جابر يحملق فيها لدقائق، والتقت عيناها بعينيه المتسائلتين، كان يشعر بالألم يضرب جسده كله، لا يعرف لماذا زايله شعور الخوف.

شيء في عينيها طمأنه. أشارت له ثم للحصان، فركبه قبل أن تقفز لتحتل مكانا خلفه على الحصان وهي تشير له أن ينطلق. على الرغم من أن ثمة شخصين يحتلان عقلها الآن أو هكذا تتصور نوال، التي لم تعرف بعد اسمها في هذا الزمن الغريب. ولكنها كانت تؤدي دورا مكتوبا لها أو أدته من قبل.

بعد مسيرة ساعتين بالحصان أشارت لبيت طيني حوله مزارع خضراء. وبعد وهلة كانت تنزل عن الحصان وتشير له أن ينزل. قبل أن تربط الحصان داخل مربط خلف البيت الطيني. وأشارت لجابر أن يدخل للداخل.

شيء بداخله أجبره أن يطاوعها، ربما شعوره بالامتنان أو لاحظ أنه يحمل لها شعورا خاصا منذ أول مرة للقائه بها في قصر الأميرة.

بعد فترة قصيرة كان جابر راقدا على فراش من القش، وجسده

ملتهب بالحمى. لقد بذل من المجهود ما فوق استطاعته البشرية. ظلت هي فوق رأسه تمرضه وتسكب على جراحه مادة تجعله يصرخ كلما لمست جسده. كانت تكوي تلك الجروح المؤلمة.

لو تأخرت أكثر من هذا سوف تكتشف سيدتها غيابها بالتأكيد.

والأمر ما زال خطيرًا.

كان جابر ما بين الإفاقة والإغماء يفتح عينيه للحظات يتأمل وجهها ثم يعود ليغمضهما، وعندما قامت وهي تلثم جبينه لتخرج أمسك يدها ونطق باسمها الذي لم تكن قد عرفته بعد.. نويرة.. ثم أردف بصوت ضعيف هامس:

- نويرة.. أرجوك لا تغادري.. إنني أحتاج مساعدتك.

قالت وهي تتأمل ملامحه:

- لو عرفت الأميرة بغيابي ستطلب الحراس أن يبحثوا عني وقتها قد تقع في يدها مرة أخرى.. سأذهب الآن وغدًا ليلا سأكون هنا.. حافظ على حياتك من هنا للغد.. لأجلي على الأقل.. هزَّ رأسه ولم ينبس بحرف وهي تبتسم في وجهه.. ورمى رأسه للوراء وغرق في النوم المليء بالأحلام المفزعة.

دخلت إلى القصر المعمور الذي اكتشفت أنها تعرف طريقه جيدا. بل إنها تحفظ كل ركن من جنباته. ما أدهشها بشدة شعورها بأنها تعيش حياتين، لم تعط نفسها فرصة للتفكير وهي تدخل إلى غرفة الأميرة عويدة.

وتتأملها في نومها، وتراجعت للوراء عندما رأت الأميرة تتململ في فراشها قبل أن تقول بصوت حالم:

obeikan.com

- نويرة.. ناوليني كأس الشراب.
بلعت ريقها وهي تتحرك إلى جانب من الغرفة وأخرجت منه قارورة مملوءة لآخرها وراحت تصب ما بداخل القارورة في الكأس. وكادت الكأس تسقط من بين يديها وهي تتأمل الدماء المنسكبة من القارورة بعينين جاحظتين. وعندها عادت الأميرة للنداء:
- الكأس يا نويرة.
تحركت ودفعت الكأس في يد الأمـيرة. التي رشفته على مرتين ومسحت فمها من الدماء وهي تتأمل نويرة بنصف عين وهي تقول:
- أرى شيئا متغيرا فيك يا نويرة.. ما الأمر؟!
قالت نويرة وهي تعيد القارورة لمكانها:
- لا شيء سيدتي.. مجرد تعب فقط.
تمطت الأميرة وهي تقول بصوت حازم:
- اذهبي.. كان كتاب السحر الخاص «كتاب الموتى» بجوار رأس الأميرة، وبدا شكله مرعبا.. تأملته لثوان وهي تتراجع للخلف.
خرجت نويرة وهي تتلفت حولها في رعب. شيء بداخلها يقول إن تلك الأميرة المجنونة قد كشفتها، حتى لو كشفتها فهذا العصر ليس عصرها. يجب أن تفيق من تلك الحالة الرهيبة.. من ذاك الكابوس المركب الذي لا تفهمه وتجبر نفسها على مسايرته كحقيقة.
كلا.. الأمر كابوس بكل تأكيد.. راحت تهزُّ رأسها وهي تقول لا وجود للأميرة.. ولا وجود لجابر. كل هذا وهم.. وهم وسينتهي قريبا. يجب أن لا أصدق أنني هذه النويرة.. يجب أن أهرب.. ولكن

أهرب لأين.. كيف أخرج من هنا؟ كيف؟!
ذهبت إلى غرفة واضح أنها غرفتها أو غرفة نويرة.. جلست على الفراش وأراحت رأسها للخلف وهي تتأمل كل شيء حولها في ذهول. قبل أن تشعر بحاجة ماسة للنوم.. وهذه المرة كانت تمني نفسها أن تسمع صوت سعاد الخادمة وهي تنادي عليها لتكلم جدها هناك في القرن العشرين.
فتحت عينيها بعد مدة بدت لها طويلة، لقد نامت لساعات.
تأملت كل ما حولها لدقيقة.. اللعنة!
إنها ما زالت في القصر المعمور، تأملت الغرفة بهدوء وأحست بوحشة على الرغم من أن كل شيء هادئ.. وعندما خرجت لخارج الغرفة وجدت الأميرة قد غادرت القصر لسوق العبيد.. هذه المرأة لن تتوقف قطُّ عما تفعله.
شيء بداخلها يقول إن الفرصة سانحة لكي تذهب لجابر.
عليها أن تتحرك الآن وأن تعود قبل رجوع الأميرة. وفي الوقت نفسه يجب أن تجد طريقة لتخرج من هذا الوهم الغبي.. فلا تريد أن تظل محبوسة للأبد في دور جارية تعمل لدى أميرة تتلذذ بشرب الدماء هي وأعوانها.

***

ثلاثة شهور كاملة وهي تنتقل بين القصر المعمور والبيت الطيني الذي يختفي فيه جابر، نسيت مع الوقت من هي. وأخذت تتعامل مع الجميع على أنها الجارية نويرة.. الجارية المطيعة المفضلة لدى الأميرة عويدة.

وظل حلم الانتقام من الأميرة يراود جابر كل يوم خلال الثلاثة شهور.. حلم أن يقتل تلك المرأة سافكة الدماء.. فقد رأى وحشيتها ووحشية تابعيها.

في البداية اعترضت نويرة خوفًا لما قد يحدث إذ انكشف الأمر.

وبعد مدة كانت قد فكرت أن عليها أن تنهي هذه الحياة بأية صورة كانت، فقد أصبح الألم لا يطاق وهي تنفذ رغبات الأميرة الوحشية.

عليها أن تسهل الطريق لجابر ليصل إلى مخدع الأميرة.. اليوم تنتظره بجوار الباب الخلفي الصغير للقصر، لقد وزعت الحارس بعد أن أعطته رشوة صغيرة وأفهمته أنها ستقابل حبيبها هنا.. ولم يرد الحارس أن يغضبها لأنه يعرف مكانتها لدى الأميرة، فلزم الصمت وهو ينصرف مداعبا كيس النقود.

دخل جابر للقصر، وبيده ذاك الخنجر المسموم الذي قرر أن ينهي به حياة عويدة.. عبر ممرات القصر كانا يتحركان، تنظر حولها في خوف وترقب.. دقائق وستدخل إلى حجرة الأميرة، وخلفها جابر.. فتحت باب الغرفة بهدوء وهي تشير له أن يدخل.. لم تمر وهلة حتى شعرت نويرة بشيء يدفعها للخلف، بينما ينقض حارسان على جابر ويكبلان حركته، وانطلقت ضحكة شيطانية من بين شفتي الأميرة وهي تقول:

- هل تظنين أن لعبتك الساذجة تخيل عليَّ، وهل تشكين للحظة أنني لم ألحظ غيابك المتكرر عن القصر لفترات متباعدة.. أنت واهمة يا صغيرتي.. سؤال كنت أقوله لنفسي منذ فترة، من أنتِ، إنك بالفعل تشبهين جاريتي المفضلة، ولكنك لست هي.

حاولت نويرة أن تتراجع للخلف ولكن الأميرة تحركت أسرع منها، ومدت يدها لتمسكها وهي تقول:

- أين تظنين أنك ذاهبة؟! لم يحن وقت عقابي لك بعد.

وضعت الأميرة يديها على رأس نويرة، ثم قبضت على رأسها بقوة وأخذت تتأمل عينيها بشغف، شيء ما يعتصر مخها.. لا تستطيع أن تفتح عينيها بسهولة، واتسعت عينا الأميرة وتقطب جبينها، وشعرت نويرة كأن الأميرة تخترق عقلها وأحست بألم رهيب في رأسها، بينما تفصد العرق بغزارة عن جبين الأميرة، وارتعش جسدها قبل أن تبعد يديها عن رأس نويرة وهي تقول بفزع:

- أي كائن شيطاني أنتِ؟ وأي شيء جلبك إلى هنا؟ مستحيل!

وتراجعت الأميرة لفراشها وتناولت كتاب الموتى وراحت تنظر فيه بذهول، في نفس اللحظة كان جابر يدفع أحد الحارسين جانبا بقوة ويركل الآخر قبل أن يندفع بكل سرعته في اتجاه الأميرة مشهرا الخنجر الذي كان لا يزال محتفظا به في يده، ليغرسه بالكامل في صدر الأميرة، التي جحظت عيناها بشدة، وارتفعت صرخة شيطانية من بين شفتيها قبل أن تسقط ويهجم الحارسان على جابر الذي راح يناورهما ويتلقى ضرباتهم باحتراف غريب لا يعرف من أين اكتسبه، بينما اقتربت نويرة من كتاب الموتى الملقى بجوار الأميرة، والذي انسال عليه دماء الأميرة، ومدت يديها لالتقاطه، وبمجرد أن لمسته شعرت كأن قوة شيطانية تدفعها بعنف للحائط، قبل أن تصطدم بشرفة الدور الثاني وتسقط من عل، وآخر ما لمحته عيناها النيران التي اشتعلت فجأة في الغرفة، وجابر يحاول أن يصد ضربة

سيف.
وشعرت لوهلة أنها ستصطدم بالأرض وستموت، ثمة سكون تام، أضواء تضرب عينيها.. ألوان غريبة تمر أمام عينيها، ثمة ريح قارسة، نفق مظلم يحيط بها، وهي تهوي وكأنه لا نهاية له، السكون.. هل ماتت؟
وارتفعت حرارة جسدها بعنف بغتة وتفصد العرق بغزارة وتقطب جبينها وهي تصرخ من الألم الرهيب الذي يضرب جسدها وتغمض عينيها، سواد في كل ناحية، وهي تتوقع في أي لحظة اصطدام جسدها بحديقة القصر.
ولكن الألم راح يخفت تدريجيًّا، ولم تسمع سوى صوت دقات قلبها المتسارعة بعنف. وفي لحظة أن قررت أن تفتح عينيها، كان كل شيء قد اختفى.. القصر وجابر، والأميرة، وكتاب الموتى. وكانت هي ملقاة في حجرة عمها شوقي على الأرض تتألم ويئن جسدها وهي تتطلع حولها بذهول تام. وخيل إليها أن كل شيء صار أبيض تماما، حتى عقلها!
وشعرت كأنها كانت تجري مئات الأميال.
وأخذت تتحسس رأسها وهي تتساءل.. هل كان ما رأته حقيقة.. لأي مدى هي ملعونة؟!
وأي وهم يكون بهذه القوة.. وهذا الوضوح.
واشتعل تفكيرها ولم تصل لأية إجابة.
وكأن كل ما حدث لها كان دون جدوى.

obeikan.com

(٨)

ما الذي تفعله الآن، هل تهرب؟

تهرب مِن مَن؟!

إنها لا تعرف حقًّا هل كل ما مرت به هو كابوس جديد أم ماذا، لا تجد توصيفا صحيحا لتصف مشاعرها تجاه ما حدث ولا يزال يحدث.

اكتفت بالصمت وهي تعود لغرفتها وتغلقها عليها، ستنتظر أن يأتي من يدق بابها ويطلب منها النزول، دوما يفعلون هذا.. دوما تأتي سعاد لتخبرها أن جدها يريدها في شيء مهم.

ودوما لا يبدو ما يريدها فيه جدها مهما حقًّا بالنسبة لها.

ستكتفي حاليا بالراحة، تشعر بأنها كانت في سباق عدْو رهيب لا نهاية له. وخط النهاية لا يزال بعيدا جدًّا حتى عن أحلامها.

أصبحت الهلاوس والخيالات المجنونة تضرب عقلها طوال الوقت، شعرت أنها لا تستطيع أن تميز بين الحقيقة والوهم.

هل جنت؟ السؤال الذي تطرحه على نفسها طوال الوقت، ولا تجد له إجابة.

على كل حال ستنتظر أن يتحرك الآخرون، ولن تبدأ هي بالخطوة

obeikan.com

الأولى. يكفي.. يكفي ما حدث؟ هذا ما راحت تعيد ترديده لنفسها، ولكن هناك دافع أكبر من فضولها يجبرها أن تحاول الفهم. وإلا سجد مكانا لها في مستشفى الأمراض العقلية.

الوقت يمر ببطء رهيب. إنها لا تعرف ما الذي عليها أن تفعله الآن سوى أن تترك الوقت يمضي.. ربما تهدأ قليلا وتصل لحل لكل هذه الهلاوس المجنونة.. وكأن الوقت يعاندها فلا يمر بسهولة.

لماذا لم تحضر سعاد لتناديها للنزول للعشاء.. ستقاوم رغبتها في الهدوء وسوف تنزل بنفسها ستحاول أن تقضي بعض الوقت مع أسرتها خارج ذلك العالم الكابوسي الذي صار يطاردها بعنف. بغتة صارت غرفتها ظلام. خرجت من الغرفة.. نزلت السلالم وسط هدوء مميت.. ما هذا الظلام.. تشعر بأنه ظلام مختلف. تنادي على سعاد بأعلى صوتها، ولكنها لا تتلقى ردا.

أين ذهبت؟! بل بالأحرى أين ذهب الجميع؟ لا صوت في الفيلا. السكون يغلف كل شيء.. دخلت غرفة المكتب وتطلعت لداخلها وهي تحاول أن تخترق بعينيها هذا الظلام المدلهم.

لا أثر لجدها. عادت لتنظر في البهو واتخذت طريقها إلى المطبخ، لا أحد.. هل يعود نفس الكابوس الذي رأت فيه أسرتها ملتفين حول سعاد وقد فصلوا رأسها عن جسدها.

شعرت بالخوف يتلبسها وراحت تحاول أن تهدأ في انفعالاتها، وأخذت دقات قلبها تتسارع في صدرها وهي تصعد للدور الثاني، تفتح الغرف تباعًا وهي تنادي.. ولا أحد يجيبها. هل ما زالت داخل كابوس ما؟

رفعت صوتها بالنداء وهي تدخل غرفة عمها شوقي. شيء في الغرفة يدعوها للدخول. شيء لا تدرك كنهه وبداخلها تحسه يحركها ويدفعها لفعل أشياء لا تعرفها.

الغرفة أيضا تعوم في الظلام القاتم. تتحسس خطواتها بحذر.. تشعر بأن كل خطوة تتحركها للداخل لها ثمن تدفعه. الكتب في مكانها على المكتب الصغير هذا ما أحست به وهي تتحسس المكتب.. بدأ جسدها يرتجف دون سبب فالهدوء يرين على الغرفة.. هدوء مميت.. تشعر بتلك الحالة العجيبة التي تشعر بها دوما كلما هاجمها كابوس ما، جسمها يشتعل تقريبا وتحس كأن درجة الحرارة ارتفعت بغتة مئات الدرجات لتشعر بذلك اللهيب اللافح يضرب جسدها. وكأن جسدها في طريقه للذوبان.. كلا.. لن تسمح بهذا. الألم يزداد بصورة غير طبيعية ولوهلة تظن أن جلدها يتساقط. تصرخ وهي ترى تلك البقعة المضيئة الغريبة تضيء فجأة أمام عينيها وتتسع وتتماوج بها ألوان كثيرة، وفجأة أيضا يختفي الألم ليحل محله الدهشة البالغة.. فقد كانت تقف في الغرفة، وعمها شوقي يكلم شخصا ما، التفت هذا الشخص الذي كان يمسك كتاب الموتى بين يديه ويتصفحه فعرفته من أول وهلة. إنه أبوها مدحت. وراحت تستمع لحوارهما.. كان أبوها يعنف عمها قائلا:

- إنك ارتكبت خطأ لا يغتفر.. هل تفهم حقيقة ما جلبته لنا.

هرش شوقي في رأسه وهو يقول:

- لكننا نملك الكتاب.. ولن يمسنا بسوء.

ضغط مدحت على أسنانه بغيظ:

- أي أحمق قال لك هذا؟ ألم يفقد صديقك حياته وهو يملك الكتاب أيضا؟!

قال شوقي وهو يحاول أن يهون من الأمر:

- صديقي أحمق. لقد قلت له لا يفعل أي شيء حتى أجيء إليه.. ولكنه تحرك قبل ذلك.. الكتاب لن يؤذينا لأننا نعرف حقيقته.

قال مدحت بغضب يحاول أن يكتمه:

- أي حقيقة تظن أنك تعرفها. إن هذا الكتاب يحمل لعنة رهيبة.. لعنة لم يقهرها أحد طوال السنوات الماضية. الحل الوحيد أن نتخلص منه والآن قبل الغد.

بدا شوقي غير مبال بكلام أخيه وهو يقول:

- نتخلص منه؟! أأنت مجنون.. بعد كل ما حدث.. قال مدحت بصوت حازم قاطع:

- إذا كنت تريد أن نظل أخوين للأبد لا بدَّ أن تطاوعني وإلا لتغادر المنزل بلعنتك.. وقتها أظن أنك لن تستطيع حماية نفسك من شرور ما تحمله معك.. لو أخبرت أبي بفعلتك لا تدري كيف سيتصرف..

اتسعت عينا شوقي قبل أن يقول بضعف بعض الشيء:

- سأنفذ ما تطلبه مني ليس خوفا من أبي. ولكن لأنني لا أستطيع أن أحمل وزر ما قد يحدث.

ربت مدحت على كتف أخيه وهو يقول:

- هيا بنا.. فالفرصة مواتية الآن والليل ستار.

تأملت نوال أبوها وهو يتحرك وعمها خلفه.. شيء ما يجعلها ترى أشياء لم تعشها قط من قبل. نزلت خلفهم.. لوهلة على باب البيت

obeikan.com

ظنت أن عمها يراها، فقد التفت للخلف بغتة، وألقى نظرة على المكان الذي كانت تقف فيه قبل أن يتمتم بكلمات غريبة بعد خروج أخيه من باب الفيلا.. لم تفهم ما الذي قاله عمها شوقي تحديدًا وهو يغادر الفيلا.. وبدت لها كتعويذة حماية من شيء مجهول.. غادرت خلفهما. بالتأكيد أبوها لا يشعر بوجودها في تلك اللحظة.. العزبة تعوم في الظلام، يتحركان في طريق تعرفه هي، تشعر أنها رأت هذا الأمر من قبل.. ما فهمته من حديثهما أثناء السير أنهما يتجهان للمقابر. أبوها يؤكد أن الكتاب المصنوع من جلد الموتى لا بدَّ أن يدفن مع موتى. هذا الحل الوحيد للتخلص من لعنته، ومن الأشباح والجن المسيطرين على الكتاب. العالم الذي يحكي عنه أبوها يخوفها ويثير رعبها لأقصى درجة.

شواهد القبور تظهر أمام عينيها، ولوهلة ظنت أن الموتى سيخرجون في تلك اللحظة من مقابرهم وسيهاجمون أباها وعمها.. أبوها يقترب من أحد المقابر ويمسك بأزميل حديد ليفتح باب المقبرة.. بعد مدة فتح باب المقبرة، نظر أبوها لأخيه وهو يقول بحسم:

- ناولني الكتاب.. سأنزل أنا به.

مد شوقي يده بالكتاب لأخيه مستسلما، وفي تلك اللحظة حدث أمام عيني نوال شيء لا يصدق، فقد مادت الأرض تحت قدمي أبيها، وأصبحت أقرب للرمال المتحركة.. جسده يغوص وكأن هناك من يسحبه بعنف للداخل. بينما أغلق باب المقبرة وكأن شيئا لم يكن.. يرمي شوقي الكتاب على الأرض ويمد يده ليسحب مدحت من تلك الرمال اللزجة.. والسماء فوقهما تظلم بشدة بغتة، وتسمع

صوتا مرعبا يأتي من الفراغ حولها بينما البرق فجأة يخطف الأبصار وصوت هزيم الرعد يرتفع لأقصى درجة.. ويشعر شوقي كأن هناك من يغرس سكينا في جانبه.. يظهر من وسط الظلام القاتم شيء يتحرك باتجاههما وسط دخان غريب رمادي يزداد كثافة كل ثانية وبضراوة.. كان هذا القادم يصدر زمجرة وحشية غريبة وهما لا يريانه.. مدحت يهتف في شوقي أن يهرب.. فجأة يشعر شوقي بمنجل غريب يمرُّ فوق رأسه قبل أن يرى ذاك المنجل يحصد رقبة أخيه مدحت ودماء غزيرة تنطلق كشلال في الهواء.

بينما يختفي جسد مدحت في باطن الأرض التي تعود إلى تماسكها كما كانت.. تصرخ نوال بفزع رهيب. إذن هكذا اختفى جسد أبيها. ترى عمها شوقي يتطلع لرأس أخيه المبتورة.. ويصرخ في لوعة وانهيار.. الظلام يخف تدريجيًّا، والدخان ينقشع.

رأس أبيها ملقاة بجوار المقابر.. الدموع تنزل بغزارة تحاول أن تقترب من رأس أبيها لتحتضنها.. تمد يديها لتختفي صورة الرأس بغتة وكأنها لم تكن.. بينما ترى عمها شوقي يميل ناحية كتاب الموتى ويحمله في يده، وعلى الرغم من هذا التفت تجاهها وهي تصرخ.. وتظن أنها لمحت نظرة غريبة في عينيه.. نظرة تحمل إصرارا وتحديا أن الأمر لم ينته بعد.. قبل أن تشعر بهذا الغليان في جسدها ويختفي كل شيء.. المقابر بعمها بالكتاب الذي يحمله.. كل شيء اختفى بغتة!

وعندما فتحت عينيها وجدت نفسها تقف في بهو الفيلا.. بينما فوقية عمتها تهزُّ كتفها وهي تقول:

- أرجعنا للسرحان ثانية؟ من الأفضل أن تجلبي صحون العشاء مع سعاد بدلا من وقفتك هنا بلا شغل.. لا تعرف لماذا دفعت يد عمتها فوقية وهي تجري صاعدة السلالم وعمتها تمتم:

- مجنونة!!

فقد شعرت لوهلة أنها لو ذهبت للمطبخ ستعود برأس أبيها موضوعة في طبق أمامهم على العشاء وعليهم أن يأكلوا منها وببشاعة!

تذهب للحمام تريد أن تفرغ معدتها.. ولا تستطيع على الرغم من ذاك الألم الرهيب في معدتها.. وهي ترتمي على فراشها.. كان قرارها أن تطلب من جدها أن يذهب بها بعيدًا لأي مستشفى لعلاج الأمراض العصبية والذهنية.. وعليه أن يوافق قبل أن تموت بهذه الهلاوس المجنونة.. إنها تخاف أن تلجأ في النهاية إلى الانتحار.. أغلقت عينيها بألم وهي تحاول استعادة أي صورة سعيدة من ماضيها؛ لتهدئ من أعصابها الملتهبة لأقصى مدى.

obeikan.com

obeikan.com

(٩)

تركض بأقصى قوتها، الأزقة مملوءة بالموتى، والموت يزحف في كل مكان حتى الحوانيت فرغت من أهلها، كل شيء شديد السواد وقاتم، الأمير قد حكم على ستة بالشنق على باب زويلة، اجتمع أفراد من الناس حولهم، ووقفوا منتظرين تنفيذ الحكم بشغف غريب، وبعد الحكم وعندما حملتهم عربة الموتى للمقابر غادر الجمع وراءهم حتى المقابر بصورة غريبة وهم يدفعون بعضهم البعض بشراسة.. ووقف المندفعون وراء عربة الموتى حتى غادر رجال الأمير الموقع، وفجأة هجموا على المقابر بعنف وراحوا يكسرون أبوابها.. وبعد لحظات استخرجوا منها الموتى المدفونين لتوهم.. وأخذوا ينهشون لحوم الموتى بصورة بشعة غريبة وهم يقطعون أجساد الموتى بسكاكين صغيرة يحملونها، يأكلون اللحم نيئا وليته أي لحم بل لحم آدمي، بل بعضهم تسابق لاستخراج جيفة المقابر لأكلها.. لقد رأت كل هذا وهي تحاول الهروب من شارع إلى شارع ولم تصدقه على الرغم من أنها سمعت عما يماثله من قبل ولكنها لم تكن قد رأت بعينيها بعد فسيدها يحبسها خوفا من أن تقع في يد مثل هؤلاء المتوحشين.. عقلها يرفض تلك البشاعة، تقف أمام امرأة على

الطريق تعرض طفلتها للبيع نظير شوال من الدقيق، يقف أمامها رجل في سواد عظيم، يقلب الصغيرة بين يديه ويتحسس جسدها وكأنه يتحسس دجاجة ليذبحها قبل أن يمنح أمها شوالا من الدقيق ويمضي، حاملا الصبية مقيدة اليدين والقدمين.. الغريب أنه لم يصل بحمله إلى السوق فقد هجم عليه جمع من الناس وخطفوا الصبية منه، وولوا هاربين.. بينما راح يطاردهم من شارع لشارع حتى غلبه التعب وأخذ يشهق بعنف وهو يسب قائلا: أولادي جوعى يا خلفة الشياطين.. إنها لا تصدق وهي تشم رائحة الشواء المنبعثة من وراء بعض الأبواب. تابعت السكة لترى أين ذهبوا بالصبية.. هناك قدور من النار وراء أرض خراب اجتمع حولها أشخاص عدة.. استقبل أولهم الصبية بالسكين على رقبتها وهي تحاول المقاومة، قبل أن تنتفض أسفل قدميه كالفرخ الذبيح.

أي كابوس جديد هذا؟! اللعنة!

إنها تعلم أن عليها أن تختفي وأن تصل إلى بيت سيدها الدهشني. لا تعلم لماذا خرجت اليوم، لقد بعثها الدهشني لتلك المرأة المفزعة.. عندما دخلت على المرأة بيتها بعد أن أعطتها الأمان بصك الدهشني.. كانت بطنها تئن من الوجع وتشعر برغبة في التقيؤ لما رأته طوال الطريق من جثث متعفنة.. المجاعة ضربت القاهرة والناس يأكلون كل شيء حتى القطط والكلاب وأجساد الموتى.. تدرك أنها في سنة سبع وتسعين وخمسمائة.. لا تدرك كيف عرفت السنة بهذا التحديد وشيء بداخلها راح يؤكد لها أن اسمها نورشان.. جارية مملوكة للسيد الدهشني.. ذاك الرجل القوي المعروف بقوته

obeikan.com

وجبروته.. طلبت من المرأة التي عقلها يقول إن اسمها رصد وهي حبشية سوداء عجفاء، وينطلق من عينيها جنون رهيب.. تتاجر تلك المرأة رصد في كل شيء حتى الرضع. أي قلب أسود تملكه هذه المرأة؟

وقفت نورشان في ذاك العصر العجيب وهي تتساءل بينها وبين نفسها ما الذي جاء بها لهنا.. ذلك المكان البعيد عن تفكيرها وذاك الزمن الغريب. شيء بداخلها يقول لها إنها ليست نورشان الجارية بل هي شخص آخر في زمن آخر.. عادت من شرودها والسيدة رصد تخبط على كتفيها بعصا وهي تقول:

- هل هذا ما أرسله الدهشني معك فقط؟!

تقول نورشان وهي تتأمل تلك النظرة المخيفة في عين السيدة:

- أخبرني أنك ستتفهمين الأمر.. وأنك ستعطينه ما طلبه.

تأملتها المرأة بعينين متسعتين قبل أن تقول:

- أخبريه إذن.. إن عليه أن يرسل لي غدا ثلاثة آلاف أخرى من الدنانير.. هيا احملي ذلك الصندوق إليه.

وأشارت إلى صندوق صغير مغلق بقفل صغير، فحملته نورشان قبل أن تقول للمرأة إن بطنها تؤلمها وتريد التقيؤ.. أشارت لها السيدة رصد إلى الحمام. وهي تقول لها إن عليها أن تنصرف سريعًا وقبل الظلام.

دخلت نورشان الحمام وبعد لحظة وقبل أن تغلق الباب كانت تفرغ كل ما في بطنها والذي لم يكن كثيرًا فهي لم تذق الطعام منذ الأمس، ولم يكن إفراغ بطنها بسبب الألم ولكن لأن عينيها

obeikan.com

اصطدمتا بعشرات من الجماجم المرمية في الحمام وقطع من اللحم المسلوخ وأشلاء ممزقة.. أي جنون هذا الذي أصاب الناس.. إنها تعلم بالمجاعة التي ضربت كل شيء وأصابت مصر فخلت قرى كاملة من أهلها، وهجم الناس على القطط والكلاب يذبحون منها ويأكلون.. إنها تدرك أن البعض أكل أبناءه من الجوع. لقد شاهدت من قبل امرأة ورجلا يشويان طفلهما الصغير.. كل هذا دار في رأسها عدة مرات وكان عقلها يرفضه على الرغم من حقيقته.. خرجت تجري من الحمام، ونظرت للسيدة رصد قبل أن تحمل الصندوق وتهرب وكأنها تهرب من شياطين الجن، ولكن شياطين الجن قد يكونون أشد رحمة الآن من أهل القاهرة. الذين أصبحوا كالموتى الأحياء يتجولون في الشوارع ليصطادوا أي عابر سبيل، أي فزع ضرب القاهرة تلك السنة، النيل لا يفيض، والمياه شحيحة، والبيوت خاوية من سكانها، والموت في كل مكان. إنها تشم رائحته في الجو بصورة رهيبة، الموت له ثقل وتراه في كل شيء حولها.. تشعر أنها لن تصل بالصندوق إلى سيدها الدهشني، لقد وعدها بأن تصل إليه، قال إن هناك من يراقبها من بعيد، إنها تكاد لا تصدق، فهي لم تلمح ذلك المراقب الذي أخبرها عنه الدهشني، تحاول أن يكون ركضها بعيدًا عن الحوائط والبيوت، فالناس يلقون بحبال يصطادون بها المارة، واللعنة إذا وقعت في أيدي هؤلاء، لن يرحموها سيأكلونها حية.. الصندوق على الرغم من صغر حجمه تشعر بأنها تحمل مئات الكيلوجرامات.. تسمع خطوات خلفها، فتواصل العدْو.. كل شيء قاتم ومميت.

الظلام يزداد، والشوارع خالية، وهناك جثة نصف منهوشة اصطدمت قدماها بها، ففزعت وهي تولي هاربة.

لن تقف أو تنظر للوراء حتى تصل إلى بيت الدهشني.. بعد مدة قضتها في الجري رأت بيت سيدها بالنجمة الخماسية الغريبة المرسومة عليه من الخارج، وبتلك الحروف التي عندما سألته قال إنها السريانية.. وأخبرها أنه في يوم ما قد يعلمها تلك اللغة.

تجد نفسها ترفض ذاك الزمن العجيب، هذا أشد كوابيسها إفزاعا، فهي عادت للتذكر.. تعلم أن اسمها الحقيقي نوال، وأنها حفيدة مراد الخشن، وتسكن مع عائلتها في فيلا في عصر آخر.

يجب أن تهرب من هذا العصر، ولكن في الوقت نفسه هي تصدق أيضا الآن أن اسمها نورشان جارية الدهشني.. أي عبث أفظع من هذه الصورة؟!

أية لعنة تسيطر على حياتها؟!

أين تذهب الآن.. باب الدهشني أمامها.. ما عليها سوى أن تدق الباب وتنادي ليفتحوا لها، ولكنها لا تريد الدخول، ما زالت تسمع تلك الأصوات الراكضة التي تحاول اللحاق بها فلهذا نادت على أهل الدار بالداخل وهي تخبط بفزع، وبعد وهلة وجدت يدًا تمتد لتسحبها لداخل الدار.. وسمعت صوت المزلاج وهو يقفل بعنف.

هناك ساحة تتوسط الدار، وفسقية فرغت من المياه، ودجاجتان تنقران الأرض تفتشان عن الحب، رأت تلك السيدة الطويلة بذاك الحلق الكبير المعلق في أنفها، إنها تعرفها أيضا، سوسنة، الجارية المدللة لسيدها الدهشني وكثيرًا ما شعرت بالغيرة نحوها للمعاملة

الخاصة التي يعاملها الدهشني لها.. قالت سوسنة بصوت به غيظ:
- لماذا تأخرتِ كل هذا الوقت.. يوم بليلة حتى تجيئي؟
لم تجب نورشان وهي تنظر للسوسنة بنفور عجيب قبل أن يأتي صوت الدهشني من الداخل زاعقًا:
- دعيها تأتي.. لا وقت لهذا الجدل العقيم.
أفسحت لها السوسنة الطريق وهي تلقي نظرة على ذلك الصندوق الذي تحمله نورشان بحرص وكأن حياتها معلقة بذاك الصندوق.
دخلت نورشان لحجرة سيدها، كان يجلس متربعا على فراشه، وبين يديه مخطوطات عجيبة الشكل، وأوراق صفراء كثيرة مكتوبة بتلك اللغة السريانية التي قال لها عليها من قبل. عندما وقفت أمامه وهي تحمل الصندوق رفع عينيه عن الأوراق وانتبه كليًّا وهو يقول:
- اقتربي.. وناوليني ما بيدك.. فالوقت يمر.. اقتربت وهي تمد يدها بالصندوق، فأخذه منها ونظر لحوافه قبل أن يمد يده لمفتاح صغير في جيبه ويفتح قفل الصندوق.. وتتسع عيناه في نشوة عجيبة وهو يخرج ما بداخل الصندوق.. إنها تعلم ما تراه الآن في يد الدهشني.. ورأته من قبل في يد عمها شوقي في ذاك الزمن البعيد.
اللعنة.. إنه كتاب الموتى.
إن هذا الكتاب ينقلها من زمن لآخر بصورة مفزعة. حتى لو كانت ما تمر به كابوس فهو أفظع ما مرت به في حياتها.. يقلب الدهشني في الكتاب وهي تقف ليست ببعيد عنه.. سألت نفسها إذا كان الدهشني يحمل مفتاح الصندوق من البداية لماذا كان يخفي الصندوق في بيت الحبشية رصد.. وكأنه سمع سؤالها فقال:

- هل طلبت رصد شيئا آخر منك؟
قالت نورشان وهي تتذكر:
- ثلاثة آلاف دينار أخرى.. تقطب جبين الدهشني وهو يقول:
- مجنونة تلك المرأة، هل لأنها حفظت الأمانة لديها لثلاث سنوات أثناء سفري، تريد هذا المبلغ.. ليكن سيكون لي شأن آخر معها فيما بعد. تستطيعين الذهاب لغرفتك لتستريحي.. فغدًا أمامنا سفر طويل.
غادرت نورشان الغرفة وهي تتساءل إلى أين ستذهب غدا مع سيدها، وعقلها يرفض أن تواصل المكوث في ذاك الحلم الغريب، وكأنها شخصان كل منهما له شخصية مستقلة يحاول أن يطرد الآخر من جسدها.
عقلان وذكريات تخص شخصين لا يعرف أحدهما عن الآخر شيئا.
لو كانت تؤمن بتناسخ الأرواح لظنت أن روحها تنتقل من جسد لجسد عبر السنوات العجيبة، حتى لو كان تناسخ أرواح وهذا مستحيل، فلماذا يرتبط دوما جسدها وذكرياتها بذاك الكتاب الملعون.
كانت سوسنة تقف على الباب فألقت عليها نظرة عجيبة قبل أن تفسح لها الطريق لتمر.. وجدت قدميها تقودانها إلى غرفة في البيت، تبدو هي في حالة مريعة تشعر بالإنهاك والتعب، وجدت فراشا مرتبا، من الجلي أنها تهتم بنفسها فهناك بعض أدوات التزين والعطور.. وجدت قدرا من الطعام مغطى، كانت معدتها لا تزال تؤلمها ولكنها تحتاج لأي طعام لتسد رمقها.. أكلت على مضض لمجرد

أن تقتل إحساس الجوع بداخلها، ثم رمت نفسها على الفراش.. وراحت أسئلة كثيرة تضرب عقلها وفي النهاية قالت لنفسها: إنها يجب أن تتوقف عن طرح أسئلة لا إجابات لها.. تشعر بإرهاق جمٍّ، وقررت أن تنام ربما انتهى الكابوس بنومها.. ولم تكن تعلم أن هذه هي البداية فقط.

***

شعرت بغتة أنها تستيقظ، كانت هناك يد تهزها من قدمها، قامت وهي تتطلع حولها وتفرك عينيها. اللعنة!

إنها ما زالت في ذاك البيت الغريب، بيت الدهشني.. كانت اليد التي تهزها للجارية سوسنة، قالت سوسنة بصوت آمر:

- هيا.. لتجهزي نفسك.. تركتك نائمة طوال النهار.. هيا أسرعي. علينا التحرك.. قامت وهي تحاول أن تجمع بعض ثيابها وتفعل ما عليها فعله.. إنها بالأمس كانت الجارية نورشان وعليها أن تظل هكذا اليوم أيضا، والمطلوب منها أن تجهز نفسها لرحلة لا تعرف عنها أي شيء.

ما الذي يخفيه لها هذا الزمن؟ وجدت نفسها تقوم وتبحث عن أي شيء لتغسل وجهها، الماء قليل جدًّا.. تشير لها الجارية سوسنة إلى قطعة قماش مبلولة فتدعك بها وجهها وتنتبه لحالها.. بعد لحظات كانت قد ارتدت ذلك الثوب شديد السواد الذي أعطتها إياه سوسنة ووقفت في ساحة الدار.. خرج الدهشني من غرفته، وفي يده صرة صغيرة مربوطة بإحكام، كان في الساحة حصان وبغلتان.. أشار للجاريتين وهو يفتح الباب بحرص شديد ويتطلع في الخارج.

إنه يدرك أن تلك الساعة على الرغم من هدوئها قد تكون ساعة قتل، ساعة يصطاد فيها الناس بعضهم البعض.. سحب الحصان بهدوء وهو يخرج من الدار.. وسحبت الجاريتان كل منهما ركوبتها وسارا خلفه حتى قاربوا على أرض فضاء، فطلب منهما الركوب، وانطلق بالحصان وهو يحافظ على المسافة بينه وبين جاريتيه اللتين تركبان البغلتين. وكان قد ربط حصانه بحبل بالبغلتين حتى لا تضلا الطريق عنه.. السماء فوقهم شديدة الظلام، ورياح عاصفة قارسة تضطرب وجوههم، ولا أثر لأي حي حولهم.. وهذا ما طمأن الدهشني قليلا..

بعد ساعات طلب من الجاريتين النزول، وأخرج من جراب معلق في الحصان قطعا من الخبز الجاف ناوله للجاريتين وأمرهما بالأكل وهو يقول لا يزال أمامنا مشوار طويل.. لا تعرف نورشان أين يمضي بهما سيدها، ولكن شيئا بداخلها يقول لها على الرغم من غرابة الطريق: إنها سارت فيه من قبل في يوم ما.

حاولت أن تحصر تفكيرها في الجارية نورشان وأن تهمل تلك الخيالات الأخرى التي لو ذكرتها الآن لسيدها ربما قتلها خوفا من لعنة ما.

لقد استقر تفكيرها بعد كثرة الأسئلة التي لم تجد لها إجابات.

إن ذاك الكتاب الملعون هو من يعبث بها، وهو من ينقلها من زمن لآخر بنوع غريب من السحر لا تعرفه.. الشيء الوحيد الذي أدركت أن عليها فعله هو سرقة هذا الكتاب الملعون من الدهشني وحرقه.. ربما كان ذاك السبيل الوحيد لتنهي تلك اللعنة الغريبة.

بعد فترة أمرهما الدهشني مرة أخرى بالتحرك.. الظلام دامس

ومريب، وهناك عواء من بعيد لذئاب تبدو جائعة. تشعر برائحة الموت وهم يقتربون من منطقة ما.. للموت رائحة أصبحت تعرفها جيدًا .

الدهشني يعرف الطريق ككف يده، فهو قد قطعه من قبل مئات المرات.. وعلى أول ضوء نهار لمحته، ارتجف قلبها بين ضلوعها بعنف.

إنه القصر المعمور.. اللعنة!

من الذي عاد بها إلى هنا مرة أخرى؟

فجأة تذكرت جابر والأميرة عويدة.. وهي عندما سقطت من الدور الثاني للقصر.

أي لعبة مجنونة يلعبها معها هذا الكتاب.. أيكون حقًّا عمها شوقي وراء ذلك الوهم.

لكن القصر المعمور بدا لها هذه المرة في حالة يرثى لها، فقد تحطمت أحد جوانبه، وظهرت حديقته جرداء ليس بها سوى عدة شجيرات عجفاء يابسة. بينما بابه محطم تقريبا.. منظر القصر يخيف أي شخص أن يقترب منه. فهو مكان يصلح للشياطين والجن الآن بحالته المهجورة تلك.

لماذا أتى بهما الدهشني لهنا؟

هل يعرف شيئا عن ماضيها في ذاك القصر؟!

حتى الجارية سوسنة على الرغم من قسوتها بدت خائفة من منظر القصر.. وقفت نورشان تنظر للقصر برهبة، وتستعيد كل ذكرى لها بداخله. فهو في النهاية سيكون فيلا جدها.

هل فقدت نفسها تماما في عالم الخيالات؛ حيث أصبحت لا تدري ما

يجري لها حقًّا.. أي عالم حقيقي وأي عالم وهمي؟!
بعد لحظات كان الدهشني يخفي الحصان والبغلتين ويقدم لها بعض العلف القليل الذي يحمله معه.. عاد لينظر للجاريتين ويأمرهما بالتحرك خلفه.. القصر من الداخل كان أشد إفزاعا.. فمن يراه يتوقع أن هناك معارك ضارية دارت داخل هذا القصر منذ عدة سنوات، فلا شيء في مكانه.
كل شيء محطم حتى النوافذ زجاجها متناثر في كل مكان.. الدهشني لم يلتفت لهذا وهو يتحرك في ممشى طويل تعرفه نورشان أو الأصح تعرفه جارية أخرى كانت تخدم في هذا القصر.. جارية تحمل نورشان ذكرياتها الآن مع ذكريات أخرى.
وفي النهاية كان يقف أمام ذاك السلم المؤدي إلى القبو.. ويأمرهما باتباعه.. يهبطون الدرج بهدوء.. خطواتهم مسموعة.. في الأسفل كان هناك ذاك المذبح الوثني العجيب، مما جعل نورشان تتراجع للخلف وهي تستعيذ بالله من الشيطان الرجيم.
كان يقف أمام المذبح شخص يوليهم ظهره وأمامه الكثير من الشموع فتنحنح الدهشني قبل أن يقول:
- سيدي لقد جئتك بالكتاب.. وأنتظر الوعد الذي وعدتني إياه.. دار هذا الشخص على عقبيه لمواجهتهم، فاتسعت عينا نورشان لأقصى درجة وكادت أن تخرجا من محجريهما، فالذي كان يقف أمامها الآن هو آخر شخص تتوقع أن يكون حيا في تلك اللحظة وهنا في ذاك القصر.. إنه جابر. المملوك جابر.. وجدت نفسها تهتف دون وعي:

- جابر.
فانتبه جابر لها، واقترب وهو يتطلع لعينيها بصورة أفزعتها، إن عينيه تغيرتا صارتا شديدتي السواد وبدرجة مفزعة لقد اختفى اللون الأبيض من العينين تقريبا وحل فيهما ظلام دامس.. بلع ما قالته عندما أصبح قبالتها وتأملها لثوان، ثم تأمل سوسنة قبل أن يشير للدهشني على سوسنة.. بلع الدهشني لعابه وهو يقول:
- ولكنها جاريتي المفضلة.. لقد جئت لك بالأخرى.. فلتفعل بها ما شئت.
خرج صوت خشن عجيب وبلهجة غير مفهومة لنورشان من بين شفتي جابر وهو يشير على سوسنة.. ويمسك تلك الصرة التي يحملها الدهشني ليخرج منها الكتاب.. كتاب الموتى.
لم يرد في ذهن سوسنة أن سيدها سيهجم فجأة عليها بهذه الصورة.. ويضع خنجره على عنقها وهو يسحبها في اتجاه ذاك المذبح الوثني.. ويكتف يديها بالقيود، حاولت أن تتملص منه وهي تترجاه أن يتركها، ولكنه واصل الأمر، في حين حاولت نورشان التراجع للخلف لتهرب. عندما وجدت جابر يسد عليها الطريق، وفي عينيه لمحت تلك النظرة العجيبة.
إنه يعرفها، بالتأكيد لقد سمعت ذاك الصوت في عقلها.. إنها لا تتوهم.
صوت يترجاها أن تحاول إنقاذه كما فعلتها من قبل.. صوت مليء بالألم واليأس.. الصور الغريبة تضرب عقلها، عندما ماتت الأميرة عويدة ودماؤها لوثت الكتاب، خرجت كل اللعنات الشريرة

وأمسكت بجسد جابر.. هو الآن ممسوس بأقوى ملوك الجن. هذا ما رأته بعين خيالها ولا تعرف كيف؟

الزمن لا يمر به. إنه يحتاج للموت، للراحة.. عليها أن تحرره والآن.. فهذا ما جاء بها لهنا منذ البداية.

عليها أن تحبس الشياطين مرة أخرى في الكتاب.

إنها تتذكر التعاويذ التي كانت تقولها الأميرة عويدة لتحافظ على سيطرتها على الجن.. أي سحر مجنون يقول الآن إن هناك شيئا يحدثها في عقلها ويأمرها.. كلا، مزيد من الوهم.. مزيد من الهلاوس.. ما الذي يدريها أنها ليست الآن في مستشفى المجانين وكل ما تراه مجرد خيالات مريضة بالوهم.

الذي فهمته أيضا أن الدهشني يطمع في الخلود.. أي خلود أيها الأحمق في حضرة تلك الشياطين.. الخلود الوحيد لك سيكون في قاع جهنم.

اقترب الدهشني من جابر الذي أشار له أن يواصل ما يفعله وهو يقدم له كأسا ضخمة.. هزَّ الدهشني رأسه بينما جابر يكبل يد نورشان بقوة حديدية.. بعد لحظة ارتفع صراخ سوسنة مع صراخ نورشان.. والدهشني يجز عنق سوسنة ويستقبل دماءها في الكأس بهدوء غريب.. أخذ جابر الكأس من الدهشني وراح يتذوق الدماء بأصابعه من داخل الكأس قبل أن يرسم دائرة على الأرض بالدماء.. ويضع الكتاب في وسطها.. في تلك اللحظة لم تعرف نورشان كيف راحت تردد تلك التعويذة بصوت قوي وبطريقة تقول إنها تحفظها عن ظهر قلب:

obeikan.com

ـ «ابسرتيم.. ابزيتيام.. كمالكشان.. شوشكان.. ابسرتيم.. ابزيتيام.. كمالكشان.. سفاردوي.. ابسمكان.. تورتشتيا.. ابسرتيم.. ابسرتيم».

راح جسد جابر يهتز في قوة، وانطلقت من بين شفتيه زمجرة عنيفة وهي تواصل ترديد التعويذة وكأن كل شيء في حياتها مرتبط الآن بتلك التعويذة الغريبة.. الكتاب يهتز في وسط دائرة الدماء بعنف رهيب ويرتفع عن الأرض وكأن لا جاذبية أسفله.. اقترب منها الدهشني عندما رآها مستمرة في إلقاء التعويذة.. شعر بشيء غريب في جاريته.. فهجم بالخنجر عليها وشعرت للحظة أن حياتها قد انتهت.. ولكن جابر أمسك برقبة الدهشني بقوة رهيبة، وسمعت صوت تحطيم رقبته بعنف.. تراجعت خوفًا، نظرة في عين جابر طمأنتها أنها ترى فيه جابر القديم بطيبته وحبه لها.. وراح دخان رمادي يزداد في المكان فجأة ورائحة حريق، مدت يدها وهي تجري تجاه الكتاب. بمجرد أن لمسته أصابعها أحست بتلك الرعدة في جسدها وشعرت بشيء يقذفها بقوة لترتطم بالحائط.

ولوهلة ظنت أنها ترى كائنا شيطانيا بشعا طوله عدة أمتار يهجم عليها قبل أن تشعر بتلك الحرارة تلف جسدها ونقطة نور تسحبها لمسافة بعيدة.. آخر ما رأته عيناها كان جابر وجسده يتحلل أمامها وجلده يتساقط بصورة بشعة ولمحت تلك الابتسامة على شفتيه قبل أن يسقط على الأرض كمجموعة من العظام المكومة.. بل ظنت أن هذا الكائن الشيطاني أيضا كان يبتسم وكأن خطته من البداية أن يتحرر من جسد جابر بعد كل هذه السنوات ولكن عقلها رفض هذا.. وفي تلك اللحظة أدركت السبب الرئيس لهذه

الرحلة المجنونة.. رحلة لم تظن أن تنتهي بهذه الصورة البشعة.
رحلة لتحرر شخصا سيطر عليه جن مارد رهيب لسنوات لا تعرف عددها.
ولكن السؤال الذي لم تجد له إجابة والنور حولها يتزايد والألوان العجيبة تتراقص أمام عينيها هل ستعود لزمنها أم يخفي لها الكتاب رحلات أخرى لا تعلم عنها شيئا؟!
ثم فقدت الوعي دون أن تصل لإجابة لتساؤلاتها..

obeikan.com

obeikan.com

(١٠)

ألم رهيب يضرب كيانها كله، أضواء لامعة تتراقص أمام عينيها في عنف، دوائر تتسع لتبتلعها وكأن لا نهاية لها، حروف وكتابات تراها في هذا الفراغ العجيب تضوي كإعلانات النيون.. أي عالم مجنون ستذهب إليه الآن؟

الكتاب يعبس بها.. هذا ما توصل إليه عقلها واطمأن بالها إليه وهي ترى ذاك العالم الفوضوي الغريب.. حولها مبانٍ تتلاشى وأخرى ترتفع، نيران تشتعل وتخفت، قمر ينير سماء بها سحب، ثم يختفي، الليل يظلم بغتة يتبعه نهار والعكس، لو كانت مغرمة بقصص الخيال العلمي لتصورت أنها في ممر الزمن حيث يتلاشى المحسوس والممكن؛ حيث الزمكان.. ولكنها لم تفهم سوى أن هناك لعنة ما ألقاها أحد ما عليها.. شخص يريد تحطيمها ولأقصى درجة.

الهدوء والسكون بغتة، الصور تختفي من حولها، تشعر وكأنها استقرت في النهاية، ولكن أين؟!

إنها في غرفة عمها سامي، وها هي الفتاة الشابة حفيدة أخيها تجلس على المكتب، منكفئة على شيء ما.

تحاول نوال أن تلتقط أنفاسها على الرغم من أنه يستحيل أن تفعل هذا في حالتها تلك فكأنها تفقد كل خواصها الإنسانية من جوع وعطش وتنفس.

تشعر بأن ثمة شيئا مختلفا فيها هذه المرة أيضا.

تحس أنها اكتسبت قوة في مواجهة هذه الهلاوس المجنونة.

الفتاة التي تحمل اسمها لا تشعر بوجودها كالعادة، سرعان ما استجمعت نوال قدرتها على استيعاب الأمور، وتطلعت للفتاة تتأملها للحظات ولمحت تلك المذكرة الخاصة بعمها والتي كان يكتب بها يومياته.. خبطات على الباب من الصغيرين بالخارج يريدان الدخول، يرتفع صوت الفتاة تنهرهما وتطلب منهما الانصراف.

واضح أن كيانها بالكامل يغوص في تلك المذكرات.

لاحظت نوال ارتعاش يد الفتاة وهي تقلب الصفحات قبل أن تغلقها وتقف لتقطع الغرفة جيئة وذهابا في تردد، وهي تتمتم لنفسها:

- هذه الفيلا ملعونة بالتأكيد، كاتب هذه اليوميات شخص غير طبيعي.

نظرت للحمام الملحق للغرفة وكأنها اتخذت قرارا ما، وبعد لحظة كانت تستخرج ملابس لها من دولابها وتتجه للحمام، تمر بجوار نوال ولا تلتفت.. تسمع نوال بعد قليل صوت المياه المنهمرة، تقترب نوال من المكتب الصغير، ترى المذكرة أمامها، تحاول أن تمد يدها لتمسكها، ولكنها تفشل، فجأة تشعر بحالاتها الشبحية.

لماذا في هذا الكابوس بالذات تكون في صورة شفافة، ولماذا عندما

obeikan.com

كانت نويرة أو نورشان كانت تحتفظ بقوامها المادي؟!!
هناك ألغاز كثيرة سوف تحتاج لتفسيرات.
سمعت بعد فترة صوت أقدام الفتاة وهي تخرج من الحمام، وجلست الفتاة الشابة أمام المرأة تسرح شعرها، لماذا فجأة انتفضت الفتاة عندما وضعت نوال يدها تملس على شعرها في حنان فهي في مقام جدتها أيضا.. وتشعر بما تمر به الفتاة من حيرة.. لقد انتفضت الصغيرة ونظرت خلفها بفزع.. ثم أطلقت زفرة حادة وهي تواصل تصفيف شعرها عندما لم تجد أحدا.. وبعد دقائق كانت الفتاة تمد يدها للمذكرة وتأخذها لتخفيها أسفل الفراش.
الفتاة تخفي المذكرة، إنها تحافظ على سر اليوميات لسبب لا تدريه نوال للآن.. ألم يكن من الأفضل أن تخبر جدها بما وجدته؟
الشابة تغادر الغرفة تتبعها نوال كظل لها، ترى الطفلين يلعبان على الدرج صعودا وهبوطا ولا يهتمان سوى بلعبهما، بينما كانت الأم تجلس مع الجد في صالة الفيلا وقد ظهر تعب الحمل عليها.. الفتاة الصغيرة تنظر لجدها المنشغل في قراءة كتاب ما، قبل أن تقول متسائلة:
- جدي.. جدي.. أريد أن أسألك عن شيء.
رفع الجد عينيه عن الكتاب وهو يقول:
- خير.. أسئلتك دوما مضحكة.
بدا على الفتاة وكأنها تفكر كيف ستقول سؤالها قبل أن تنطق قائلة:
- بالنسبة لعمك شوقي، ما الذي كان يفعله في حياته.. أقصد ماذا كان يعمل؟

تطلع لها الجد مستفسرا وهو يقول:
- ولماذا تسألين عن عمي شوقي؟
ابتسمت وهي تجلس بجواره وتطبع قبلة على جبينه:
- أليس من حقي أن أعرف عمل الشخص الذي أسكن غرفته، والذي منعتني أنا من أن ألعب بأي شيء يخصه بالداخل.
ابتسم الجد وهو يقول:
- عمي شوقي سافر عدة سنوات في الخارج درس خلالها الفيزياء. وكان مقررا له أن يعود ليعمل معيدا في الجامعة، ولكنه رفض وقرر أن يمضي وقته في تحضير الدكتوراه وأبحاثه.
قالت الفتاة وهي تغمغم حائرة:
- الفيزياء.
قال الجد بتؤدة:
- نعم. أتذكر أن دراسته كانت عن الفيزياء والمادة والفراغات. كثيرًا ما كنت أسمع جدي يسخر من تلك التعريفات ويجادله فيها.. وعمي كان دائما يحلم بتلك الأحلام الغريبة عن إمكانية تغيير الزمن والمكان، كما تعرفين العلماء دوما لديهم هذا الشطط في التفكير.. وفي آخر مرة رأيته كان يبحث في شئون أخرى أشد غرابة وبعيدة تماما عن العلم. لفترة شككت أن الأبحاث أصابته بشيء من الغموض على شخصيته.
واصلت الفتاة الابتسام وهي تقول:
- وأين انتهى به الأمر بأبحاثه؟ هل توصل لشيء؟
تقطب جبين الجد وهو يتذكر شيئًا ما قبل أن يقول متهربا من

obeikan.com

الإجابة:
- إنني أحتاج للراحة سأذهب لأنام قليلا.. كانت نوال أيضا تريد أن تعرف ما الذي حدث لعمها شوقي، ولكن أخاها لم يجب وهو يقوم ليصعد الدرج أمامها، كانت تريد أن تقطع عليه الطريق لتسأله، ولكنه لن يراها في حالتها تلك بالتحديد.
بعد فترة أخرجت الفتاة شيئا من حقيبة صغيرة بجوار أمها.
ظلت الفتاة تلعب على جهاز صغير في يدها لم تفهم نوال ما هو وكان الجهاز ينقل أشياء وصورا عجيبة من خلال صفحات تتصفحها الفتاة، بالطبع كان هذا الآي بود آخر ما تتصور نوال وجوده أو معرفته. الفضول غلبها لتتابع الفتاة، بعد فترة كان الأب يدخل من باب الفيلا وهو يحمل أكياسا في يده وهو يقول:
- إنني لا أعرف كيف لا يكون هناك سوق تجاري قريبا من هنا.. قطعت عشرين كيلومتر حتى أصل لأقرب سوق تجاري.. قالت الأم مبتسمة وهي تمسك منه الأكياس:
- لا تنس أن معظم ما يحيط بنا أراضٍ زراعية وفلاحون.
قال الأب وهو متبرم:
- وهل هناك قانون يمنع من سوق تجاري وسط الفلاحين؟!! حقيقة لا أفهم!
راحت الأم تفرغ بعض الأكياس قبل أن تقول:
- سوف أذهب للمطبخ لأعد العشاء.
قامت الفتاة فجأة وهي تقول:
- إنني في غرفتي.. وعندما تجهزوا العشاء نادوني.

قالت الأم متصنعة الغضب وهي تمسك بطنها:
- كل هذا حتى لا أطلب منك أن تساعديني في تحضير العشاء.. كله من تدليل جدك لك.
ابتسمت الفتاة وهي تصعد الدرج لغرفتها، الأمر أصبح مربكا جدًّا لنوال؛ إنها لا تعرف حقًّا ما الذي عليه أن تفعله الآن.
هل تصعد وراء الفتاة الدرج أم تتابع الجد الذي فرَّ من تساؤلات حفيدته؟
بالتأكيد أخوها محمود لديه فكرة عما جرى لها في ذاك الماضي البعيد، ولكنها تساءلت أيهمها حقا أن تعرف ما حدث لها؟ هل عندما تعود لعالمها والزمن الذي تعرفه ستحاول تغيير هذا الماضي؟ وإن كان الأمر كذلك، فهل في استطاعتها أن تكتب لأخيها أنها هنا وتراه؟
ومن يضمن لها أو يؤكد أن ذاك العالم الغريب هو شيء حقيقي فعلا. لم لا يكون مجرد كابوس دقيق التفاصيل.
وفي نهاية الأمر قررت أن تتبع الفتاة، ألقت نظرة على الطفلين المستمرين في مشاكسة بعضهما البعض، قبل أن تجد نفسها بغتة داخل غرفة الفتاة عندما فكرت أنها يجب أن تكون موجودة الآن بالغرفة. دهشت في البداية بحق. ثم قامت بالتفكير في غرف أخرى وأماكن أخرى داخل الفيلا.. شعرت بتلك الصفة الجديدة التي لا تعلم من أين اكتسبتها.. فجأة أصبح بمقدورها أن تكون في أي مكان بالفيلا، بل إن انتقالها داخل الفيلا من مكان لمكان صار سهلا بطريقة رهيبة وغير متخيلة لها من قبل. أهذا عالم آخر تخوض

غماره؟!

أخذت تتنقل بين الغرف بيسر وسهولة في صورتها الشبحية لمدة دقائق لتثبت لنفسها أن الحدث مستمر، وعندما عادت بتلك الهيئة غير المرئية لغرفة الفتاة، كانت الفتاة تجلس على المكتب وبيدها المذكرة التي تحمل يوميات عمها شوقي. من الجلي أن الفتاة قطعت شوطا طويلا في القراءة.

واقتربت من الفتاة وراحت تتطلع لخط عمها بشغف غريب وبدأت الكلمات تتضح أمام عينيها.

«أعلم أن ما ارتكبته كان سببا للويل الذي أصابني. لم أكن أتصور قط أن هذا الكتاب الغريب قد يجلب لي كل هذه الأفكار المجنونة، بل بالأحرى لقد جلب معه ذاك الشيطان الذي يسكن معنا الفيلا الآن، لدرجة ما أنا مسيطر على الوضع بعد مقتل أخي.

مقتل أخي دمر الأسرة تقريبا، أبي نفسه أصابه نوع من الفتور للحياة، بينما زوجة أخي أصبحت تتناقش على أن تترك الفيلا.. أعلم أن الأمور محبطة للجميع، خصوصا لأن العزبة لم تعد آمنة.. هناك حوادث تحدث في العزبة لا يجد أحد لها تفسيرا، وفي الوقت نفسه لا أستطيع أن أقول لأبي إنني من جاء بهذا الويل لنا. لقد حصنت الفيلا جيدا، فأنا أعرف أنه حتى بعد تجول هذا الشيطان في العزبة فهو مرتبط بكتاب الموتى.

التخلص من الكتاب لم يكن سهلا فقد فقدت أخي بسبب محاولة التخلص منه، وكأنه قد أصبح علي أن أظل محتفظا به للأبد.. منذ أسبوعين تقريبا أصبحت متأكدا أنه لن يغادر الفيلا مرة أخرى..

عليه أن يظل كامنا منتظرا الفرصة لينقض عليَّ.. ولكنه يعلم أنني أعلم بوجوده لذا فقد حصنت نفسي.. السؤال الذي أسأله لنفسي الآن هل باستطاعته أن يؤذي أي شخص آخر بالفيلا؟».

تقلب الفتاة عدة صفحات وتعود لتقرأ وكأنها تريد أن تصل لنهاية الأمر.. «ما كان لي أن أجري تلك المبادلة الشيطانية، فقد حبسته داخل جسدي.. نعم، هذا ما حدث، أشعر به يحاول التحرر ولكنه لا يستطيع، ذاك الوشم المحفور على صدري يمنعه من الخروج. الفكرة كانت مجنونة ولكنها الحل الوحيد لي.. لم يكن أمامي حل آخر. لأول مرة في التاريخ يكون هناك جن ممسوس من بشري.. وربما لهذا السبب تأتي لي الكوابيس بكثرة هذه الأيام.. كوابيس لا أعرف كيف أصفها. أول الأمر رأيت ذاك العالم الغامض في كابوسي.. شمس زرقاء وسحب رمادية.. وأرض ممتدة أمامي إلى ما لا نهاية.. أرض بلون الدماء.. كنت أتحرك وأسفل قدمي سمعت تلك القرقعة، وعندما حملقت فيما تحت قدمي ارتعد بدني بشدة. فقد تبينت أنني أسير على جماجم بلا عدد وعلى الرغم من هذا أسير ولا أستطيع أن أقف بمكاني.. كل هذه الأرض الممتدة أمامي عبارة عن جماجم بشرية. أي جحيم هذا الذي أراه؟

هل هذا ما يفعله كتاب الموتى؟ أن تتحول الأرض إلى فناء. مستحيل! طيور غريبة الشكل تطير فوق رأسي.. ولا تقترب وكأن هناك حاجزا بيني وبينها.. تقترب لدرجة أنني أسمع رفيف أجنحتها، ولكن بعد لحظات تبتعد عني وكأن ثمة شيئا أقوى منها يأمرها بالابتعاد.. أمشي لساعات وأنا أحاول الخروج من ذاك الكابوس ولكنه يسيطر على

عقلي.. هناك رأيته واقفا.. كائن مشوه بعينين حمراوين دمويتين مشقوقتين بالطول.. يمسك في يده تلك العصا الطويلة التي تنتهي بمنجل كما في القصص الأسطورية.. يغطي رأسه بغطاء رأس أسود وخلفه كرسي عجيب الشكل مصنوع من أجساد الموتى.. كان ينظر لي بغضب رهيب.. عندما رأيته وجدت نفسي أتمتم باسمه صارخا «الحاصد». لا أعرف لماذا شعرت أن هذا هو اسمه.. كانت نظراته المخيفة مسلطة علي وشعرت بصوت يقتحم عقلي وهو يقول:

- لن أظل هكذا للأبد.. ستضعف بكل تأكيد. وقتها لن تفلت من يدي. سأمزقك لقطع صغيرة ديدان الأرض نفسها لن تعرفها.. انتقامي منك سيكون لا نهائيا وللأبد.

وعلى الرغم من ذاك التحذير الذي سمعته في عقلي ولكن ثمة شيئا ما أسعدني أنه لو وجد طريقة للتخلص مني من البداية لفعلها. تلك التعاويذ التي حصنت جسدي بها قبل حتى حصولي على كتاب الموتى ساعدتني أن أظل بعيدا عن يديه.. عندما خرجت من ذاك الكابوس على الرغم من بشاعته كنت مطمئنا لحد ما أن في استطاعتي التوصل لحل».

أغلقت الفتاة المذكرة، عندما سمعت صوت أخيها الصغير يدعوها للنزول للعشاء.. بينما راحت نوال تفكر فيما قرأته هي أيضا في المفكرة. عمها شوقي.. وممسوس من الجن أو هو يمس الجن. وكائن شيطاني، وأرض جماجم.. أي هلاوس هذه؟!

وهل ما يحدث لها ليس هلاوس؟

لماذا تشعر بغتة أنها في حاجة للنوم، جسدها.. هل بدأت تشعر

بجسدها. تفكر في الخروج من الفيلا.. ولكن لا يحدث شيء. تجرب الأمر داخل الفيلا فيحدث بمنتهى البساطة، تتنقل بمجرد الفكرة لأي مكان تريده داخل الفيلا.. بينما لا تستطيع أن تغادر الفيلا مهما حاولت بحالتها تلك وكأن هناك من حبسها في ذلك الوهم الغريب في حدود الفيلا فقط.

إنهم على العشاء، تتأمل ملامح أخيها بشوق وتتذكر كم افتقدته عندما غادر الفيلا مع أمها. ليته ظل بجوارها. ليته يستطيع أن يراها الآن. لم تستطع الاستطراد في أفكارها، فقد شعرت وكأن هناك دخانا شديد السواد يهجم على الجميع، أرادت أن تصرخ وهي ترى ذاك الدخان الذي لا تعرف مصدره ولكنها فهمت أن هذا الدخان يهاجمها هي وليس هم.. وراحت تشعر بتلك الآلام الرهيبة التي تضرب جسدها بغتة.. وأصبحت معتادة عليها. الممر المضيء والكلمات المكتوبة في الفراغ.. والألوان التي تتراقص أمام عينيها. وجسدها الذي يكاد أن يذوب من الحرارة الرهيبة التي تشعر بها.. لقد عرفت أنها تنتقل كالعادة.

هذه المرة عرفت أنها ستصحو بالتأكيد في زمنها الحقيقي.. وسينتهي ذاك الكابوس للأبد.. ستذهب بنفسها للطبيب النفسي.. يكفي هذا الكم من الهلاوس والتخيلات.. أخذت تقنع نفسها بهذا والألم يضرب جسدها بمنتهى العنف والقسوة وكأنه سيظل مستمرا للنهاية.

(١١)

لقد أصبحت كالمدمنين، إن تلك الحالة من الهلاوس التي تنقلها من زمن لزمن صارت شيئا معتادا بالنسبة لها، بل لو صارحت نفسها ستقول إنها أدمنت اللعبة.

أدمنت تلك الهلاوس على الرغم من بشاعتها.

هناك قدر من الألم يجعل الأدرينالين يزيد في جسدها بدرجة رهيبة، مما جعلها تشعر بتلك النشوة بعد كل عودة أو وثبة كما أطلقت عليها.

إنها تثب من زمن لآخر بطريقة تدهشها. وعلى الرغم من جنون الهلاوس وتسارعها حولها ولكنها تشعر بالانتشاء.

الخوف أحيانا قد يكون الطريق إلى السعادة.

هل تفكر في الموت؟ لماذا قد تكون مغرمة بالحياة لقد فقدت ابنتها وفقدت زوجها، وسافرت أمها وأخوها، فلماذا تكون لديها رغبة الاستمرار في حب الحياة. وحياة كحياتها لمن ستكون مفيدة؟!

اعتادت في الفترة الأخيرة أن تراقب عمها شوقي بمنتهى الحرص، هناك ذلك الشيء الذي قرأته عن ذلك الشيطان الذي يسكن جسد

obeikan.com

عمها، ولكن ليس هناك أي شيء يدل على هذا، عمها يتصرف بطبيعته، أو ربما يحاول المحافظة أمامهم على تصرفاته.
شيء بداخلها يجعلها متحفزة على عمها شوقي، شيء يقول لها ربما كان عمها هو السبب في تحطيم حياتها كلها بهذه الصورة.
إنها تريد الانتقام منه لسبب لا تدركه!
أصبحت تخاف الخروج من البيت، بل أحيانا تلزم غرفتها لساعات طويلة. هل يظنون فيها أنها مجنونة؟ حتى لو كان الأمر كذلك، ستصبر حتى يعود لها وعيها وتفكيرها بطريقة صائبة.
تراجعت عن فكرة الذهاب لطبيب نفسي، لا تريد أن يشمت بها أحد.
أصبحت تشعر أنها تشم رائحة البحر ولا تعرف السبب. فليس هناك بحر قريب من الفيلا، أقربهم يبعد مئات الكيلومترات وعلى الرغم من هذا ظلت رائحة البحر في أنفها لا تفارقها لأيام.. شيء حدث بالتأكيد من قبل ربطها بتلك الرائحة.
هل هذا نتيجة للهلاوس التي تضرب عقلها وتسيطر على تفكيرها؟
كل شيء في الفيلا يمضي على وتيرته.. أخبار فقط من حين لآخر من ثابت ابن عمتها فوقية أن أهل العزبة يصيبهم هزال حاد ولا يعرف لهذا سببا، بعد فترة أخذت نوال تربط بين خروج عمها شوقي ليلا للتجول في العزبة وبين الحالات التي تأتي لثابت في المستشفى ثاني يوم مصابة بالهزال والأنيميا.
هل هذا ما يفعله عمها حقًّا عندما يخرج ليلا. هل يتسلى على امتصاص دم سكان العزبة، ولو كان الأمر كذلك فلماذا لا يشهد

أحد من السكان عليه، ولماذا لا يذكر أي مريض تعرضه لهجوم من شوقي.

هل عمها عندما يعود لا يعرف، ربما كان الأمر نتيجة لذاك المس الشيطاني العجيب الذي قرأته في يوميات عمها. لا بدَّ أن تعلم مكان تلك اليوميات بأية طريقة.

كانت في تلك اللحظة تحاول الاستلقاء على فراشها، لتطرد كل الأفكار جانبا وتنام قليلا. إنها لا تنام تقريبا منذ أيام.

لماذا صعدت تلك الرائحة مرة أخرى إلى أنفها. البحر.

كلا.. ليس مرة أخرى.. الألم ينهشها بقوة رهيبة. تشعر وكأن هناك غليانا تحت جلدها، وأن دماءها تفور في الأوردة والشرايين. ألم لا يطاق.. الصورة المهزوزة.. تلك الرؤية الغريبة للألوان المتضاربة.. سواد كثيف قبل أن يلمع ضوء فضي.. ممر أبيض طويل لا نهاية له. تسبح في الفضاء. فراغ شاسع.. ترى نفسها عندما كانت جارية.. أهي نويرة أو نورشان.. اللعنة. تغلق عينيها عندما يسطع النور أكثر لدرجة لا تستطيع أن تحافظ على عينيها مفتوحتين.. تشم هواء البحر ورائحته.. تشعر بجسدها يطير في الهواء قبل أن تشعر بملمس الرمال أسفل قدميها. كانت تسير بهدوء.

أين هي؟

الإسكندرية!

ذلك الشاطئ الممتد وتلك الرمال، ما الذي أتى بها إلى الإسكندرية؟!

ترى الأسوار المرتفعة خلفها؟ أي زمن هذا؟

ترى تلك السفن الكثيرة أمامها وذاك العلم المرفوع والذي جعل

obeikan.com

خوفها يزداد أكثر.
هناك امرأة بجانبها بدت كأنها خارجة من البحر لتوها نظرت إليها ونظرت لتلك المراكب المقبلة قبل أن تقول بفزع:
- سيدتي نور صباح يجب أن نهرب من هنا حـالا.. الصليبيون سيهاجمون المدينة هكذا يقول الحراس.
إذن هي نور صباح، والصليبيون سيهاجمون.. وجدت نفسها تضحك بهستيرية.. والمرأة تنظر لها بدهشة بالغة.. وتتساءل نوال وسط ضحكتها المجنونة: أي عبث هذا؟! ليكن.. ليستمر العبث.. تابعت تلك المرأة التي أدركت نور صباح أنها جاريتها قائلة:
- هيا سيدتي.. السيد لو عرف أننا انتظرنا نراقب وصول مراكب العدو لقتلني.. لا أعرف كيف جاءت لي الجرأة أن أمضي معك في هذا.. تبعت نور صباح جاريتها التي لم تكن تعرف اسمها بعد حتى وصلا إلى فتحة صغيرة في أسوار الإسكندرية. عليها حارس عندما رآهما أفسح لهما الطريق. لا بدَّ أن نور صباح شخصية مهمة في هذا العصر.. ركبت عربة صغيرة يجرها حصانان ظهرت لها كعربة السواري في القاهرة التي ركبتها وهي طفلة مع جدها.. الجارية بجوارها وهي تشير للحوذي أن يسرع فالأمر خطير.. بعد فترة كانت العربة تدخل بهما إلى هذا القصر.. حديقة غناء، أشجار متنوعة، طاووس كبير ألوانه الزاهية تداعب عينيها، الزجاج اللامع والأرض المفروشة بالحصباء المعشق.. دخلت القصر وهي تتأمل كل شيء بدهشة، هل ما تراه حقيقيا أم أن الأمر في ذهنها فقط، وكل هذه خيالات، ولكنها تشعر بكل شيء وتلمسه وتنتقل من مكان لمكان

بقدميها تشعر بأرضية القصر والسجاد.. كان عليها فقط أن تعرف لماذا هي هنا والآن.. بدا لها هذا الرجل الجالس في استقبالها أنه شخص تعرفه، ملامحه ليست غريبة عنها.. رأتها من قبل في مكان ما.. اللعنة! كيف لا تعرفه.. إنه نسخة من زوجها رأفت بمجرد أن يحلق تلك الذقن.. قام واقفا وهو يقول بغضب مصطنع:

- ما زلتِ أميرتي على جنانك وشطحاتك. ما كان لك لتخرجي لتشاهدي سفن الأعـداء.. إنك تعرضين نفسك لخطر عظيم.. لا أعرف لماذا أطاوعك دوما في الموافقة على تصرفاتك على الرغم من طيشها.

بدت لها فجأة وكأن ذاكرة أخرى تحتل عقلها.. إنه زوجها الأمير حامد.. قالت وهي تتذكر أشياء بصورة تدهشها:

- الأهالي ظنوا أول الأمر أنها سفن تجارية.. لقد أصر نائب الحاكم على مهاجمة السفن على الرغم من تحذير البعض له أن عليه أن ينتظر الجيش.

قال الأمير حامد ساخطًا:

- الخطأ من السلطان الأشرف شعبان لم يكن يصدق الأمر وذهب للاستجمام كما علمت.. حتى والي الإسكندرية ليس بها الآن ونائب الحاكم شخص ساذج أرعن. المدينة ستقع بالتأكيد في يد الفرنجة.. علينا أن نفر لقد جهزت كل شيء للهرب.. لن ننتظر لنقع لقمة سائغة في يد العدو.. لا أظن أنهم سيهاجموننا بالنهار.. قالت بغيظ لا تدري سببا له:

- الأشرف شعبان ما زال طفلا، أخاف أن نفقد الإسكندرية.

obeikan.com

كاد الأمير حامد أن يقول شيئا دخل ذلك الحارس مفزوعا وهو يهتف:

- لقد هاجم الصليبيون الإسكندرية.. لقد هجموا في عز الظهر..

التفت الأمير حامد لزوجته نور صباح قائلا:

- هيَّا.. سنجمع ما نقدر على حمله لا وقت الآن.. أهم شيء ألا تنسي الصندوق الصغير في غرفتنا. هيا.. لا تنسي الصندوق.. سأحاول أنا أن أعرف ما الذي يجري.

ثلاث ساعات تقريبا مرت في هذا العالم عليها، جاريتان لها يجمعان كل شيء ثمين ويربطانه.. لقد قال لها حامد عن صندوق لا تنساه. لا بدَّ أنه صندوق الحلي والمجوهرات الخاصة بها.. أين هو؟!

بعد فترة بحث بدت لها طويلة وجدت ذاك الصندوق الصغير في قاع دولابها.. أخرجته ونظرت إليه.. هناك شيء يحدثها أن الأمر يتكرر.. فتحت الصندوق بمفتاح معلق في رقبتها. وتراجعت للوراء وهي تضعه على الفراش. فالصندوق كان يحمل آخر شيء تتوقعه.. كتاب الموتى.. ما الذي أتى بهذا الكتاب لهنا. نعم، الأصح أن تقول لماذا جاء بها لهنا. الكتاب يريها المزيد من الذكريات العجيبة.

اقتحم الأمير حامد الغرفة بغتة.. رآها تحدق في الصندوق.. فأغلقه وهو يقول:

- الإسكندرية ضاعت من أيدينا.. إنهم يقتلون الجميع. لا يفرقون بين مسلم أو مسيحي أو يهودي.. الحوانيت تخرب. والقتلى في كل مكان. ينهبون كل شيء.. جنون ضرب المدينة. هيا بنا. الكل يفر بعمره.. أرادت أن تسأله لماذا يحتفظ بهذا الصندوق أو

الأصح لماذا يحتفظ بكتاب الموتى في قصره.. أشار لها أن تتبعه، كان هناك حارسان يقفان بانتظارهما بجوار الباب وقد جُهزت الخيول للهروب.. جاريتان تحملان الكثير من الأشياء الثمينة، قاما بوضعها على فرس جُهز ليحمل المتاع أثناء الرحلة.

ركبت الحصان بسهولة ويسر وكأنها تمرنت لسنوات على ركوب الخيل.

الأمير في المقدمة وهي خلفه وجاريتاها تتبعانها وفي نهاية الموكب كان الحارسان يحرسان الجميع، يحاولون تحاشي الشوارع الغاصة بالموتى وهم يتجهون في طريقهم إلى الصحراء.. أرادت أن تهتف به وهي لا تزال تحمل الصندوق في جراب معلق على حصانها إلى أين يذهبون.. ولكن ما رأته في الشوارع من قتلى، نساء، وأطفال، وشيوخ جعلها تصمت وهي تتبعه بمنتهى الخوف.

الكتاب في حوزتها هل تستطيع أن تتخلص منه الآن؟

سؤال لم يحن وقته بعد.

بعد ساعات كانوا قد وصلوا للصحراء.. السماء مظلمة ومدلهمة.. وأصبح المضي قدما انتحارا في تلك اللحظة.

فشد الأمير ركابه وهو يقول بصوت عال:

- سنعسكر هنا حتى طلوع النهار.. بعد لحظات توقف الجميع في تلك المنطقة التي كانت منخفضة قليلا وخلفهم كانت هناك تلة مرتفعة تخفيهم عن العيون.

جلست على الأرض تلتقط أنفاسها، بينما راحت الجاريتان تعدان الخيام للمبيت، حتى يتجنبوا رياح الصحراء وترابها.

بعد فترة كان الحارسان يشعلان النيران ليتدفأ الموجودون.
بعدما شعرت بالراحة قليلا قالت مخاطبة حامد الذي كان يجلس قريبا منها ويبدو عليه التفكير:
- ما الذي حدث بالضبط؟
بدا لها شاردا وهو يتطلع إليها مستوضحا:
- ما الذي تقصدينه بـ«ما الذي حدث؟»؟! لقد هاجم الصليبيون الإسكندرية وقتلوا أهلها.. لقد خربوا كل شيء الجوامع والكنائس والحوانيت والأسواق حتى المقابر لم تسلم من أيديهم.. قالت وهي تبتلع ريقها وتشعر بطعم التراب على شفتيها:
- ليس هذا ما أقصده.. سؤالي عن شيء آخر.. ما الذي حدث حتى يكون كتاب الموتى هذا بصندوقه ضمن ممتلكاتنا؟
تطلع لها الأمير على ضوء النيران المتراقصة بذهول وهو يقول:
- نور صباح!! ما معنى ما تقولينه إنك تعرفين كل شيء.. ولمعت عيناه وسط الظلام وهو يحدق في عينيها بقوة قبل أن يبتعد للوراء ويشهر سيفه في وجهها وهو يقول:
- من أنتِ؟! أي سحر شرير جعلك في جسد نور صباح.. هل أنتِ قرينتها.. ليس لك نفس عينيها.. كيف لم أنتبه لهذا؟ منذ عودتك صباحًا وأنا أشعر أن بك شيئا غريبا.. انطقي وإلا أغمدت سيفي في قلبك.
بدا الأمر للحارسين والجاريتين غريبا.
ما الذي يفعله سيدهم بالضبط؟ لماذا يشهر سيفه في وجه سيدتهم؟
الأمر بدا غريبا جدا، وقبل أن تنطق نور صباح بحرف ارتفعت

تلك الصيحة الرهيبة فجأة.. ومن خلف التلة انسال نحوهم جمع غفير من قطاع الطرق العربان الذين يسكنون الصحراء.. شهر الأمير سلاحه وهو يطعن أقرب المهاجمين إليه.. جرت الجاريتان في اتجاه الصحراء وخلفهما جرى ثلاثة من العربان.. المعركة شرسة وقوية.. الحارسان يواصلان القتال بمنتهى البسالة والقوة.. الأمير يركل مهاجما ويضع سيفه في عنق آخر.

وبدا سيل العربان كأنه لا نهاية له وكأنهم نبتوا من رمال الصحراء.. بعد فترة انتهت المعركة والدماء في كل مكان والقتلى متناثرون.

الحارسان جادا بأرواحهما في سبيل الحفاظ على الأميرة والأمير، بينما تلقى الأمير عدة طعنات وسقط جريحا يلفظ أنفاسه الأخيرة بعد أن أركب نور الصباح حصانها وضربه بقوة؛ لينطلق بها وسط المعركة وهو يصرخ فيها:

- لا يجب أن يقع الصندوق في أيديهم حافظي عليه بحياتك أيا ما كنتِ. بينما الجاريتان وقعتا في الأسر واستسلمتا.. الحصان ينطلق وعلى ظهره الأميرة نور صباح.. الظلام دامس وهي لا تعرف أي طريق تسلكه. فهناك الرمال حولها في كل اتجاه.. ستترك للحصان حق تقرير مصيرها.. ألم شديد يضرب جسدها، تتحسس جسدها هل هي مصابة.

من نور صباح؟ سؤال أخذت تطرحه على نفسها وهي تفتش في ذاكرة الجسد الذي هي بداخله. الذاكرة مغبشة.. لا تستطيع أن تصل إلى تفاصيل كثيرة.. تشعر أنها ستفقد الوعي، ترى في خيالها.. بداية القصة.. نور صباح.. فتاة فقيرة تساعد أمها العجوز في الخبيز..

تورد العيش إلى بيت الأمير حامد.. الأمير يبدو لها جذابا.. ولكن هل تفكر فيه؟ انتهت فترة الحواديت التي تحكيها لها أمها.. لن تصل أبدا لكي تكون قريبة من الأمير.. الرمال تضرب وجهها بشدة، والحصان منطلق بسرعته.. تسللت نور صباح للقصر.. تراقب الأمير ليل نهار وكلما سنح لها الوقت. لا تعرف لماذا وقتها تصورت للحظة أن الأمير قد يقع في حبها.. حتى يوم موت أمها ولم يتحقق لها هذا الحلم.. البرد قارس ينهش جسدها الصغير.. وملابسها لا تحميها من هذا الصقيع. أمها تموت في بيتهم الصغير الطيني.. لا أب لها فقد غادر بالموت منذ سنوات.. ولا عائلة لها.. لمن ستنادي لينقذها وينقذ أمها.. لم يسعفها الوقت في التفكير. لقد ماتت الأم ليلا.. صرخت وبكت وارتمت أسفل قدمي أمها تبكي بشدة.. وبعد ساعات من البكاء.. خطر لها هذا الخاطر العجيب. الليل ستار.. ستدفن أمها في مقابر الأغنياء والأمراء، بل ستدفن أمها في مقبرة عائلة الأمير حامد نفسه.

عربة صغيرة بيد وضعت عليها جسد أمها في كفنها.. وسارت في ذاك الظلام الدامس باتجاه مقابر عائلة الأمير، فهي تعرفها جيدًا منذ فترة طويلة. جهزت الأدوات التي ستفتح بها المقبرة ووضعتها تحت رأس أمها.

وبعد وقت أمضته تسحب العربة بثقلها وشعرت بأن يديها تآكلتا من قوة السحب كانت تقف بجوار مقابر عائلة الأمير حامد.

مقبرة الأم تحديدًا.. وتطلعت للهدوء الذي يشمل المقابر.. لا حراس هناك. فمن يفكر أن يسرق الأموات.. فتحت المقبرة بعد

فترة بدت لها طويلة استخدمت الأشياء التي أتت بها لفتح المقبرة. وبعد لحظات كانت تهبط لأسفل وراحت تسحب جسد أمها للداخل وهي تستعيذ بالله من الشياطين.. وضعت رأس أمها بجوار جمجمة رأس الأميرة الأم.. عندما اصطدمت قدمها بذاك الصندوق الغريب الصغير. من الذي يدفن صندوقا في مقبرة.. وجدت يدها تأخذ الصندوق لخارج المقبرة بعد فترة وتتأمله.. هل تحطمه لترى ما بداخله.. ليس هنا؟ عندما تعود للبيت يجب أن تخفي آثار دفن أمها جيدًا وأخذت تحاول أن تعيد المقبرة لحالتها الأولى وكأن لا يد لمستها.

للحظة قبل أن تغلق المقبرة تذكرت أنها لمحت شيئا يشبه المفتاح معلقا في رقبة الملكة الأم أو ما تبقى منها.. لم تفكر وهي تهبط للمقبرة مرة أخرى وتعود بالمفتاح بين يديها.. وبعدها أعادت المقبرة لحالتها الأولى.. واتجهت بالعربة الصغيرة الفارغة الآن من حمولتها إلى بيتها الطيني خلف الأراضي الزراعية.. وقد علقت الصندوق في جراب الأدوات التي جلبتها معها.

في الليلة نفسها كانت تجلس قرب باب البيت على فراش من القش تعبث بالصندوق وهي تفكر وتمني نفسها أن به ثروة ستغنيها العمر كله. وأن ما جاء لها من خاطر كان من أجل هذه اللحظة. الدنيا تعوضها عن سنوات الحرمان والفقر.. ولكن آمالها تحطمت عندما فتحت الصندوق لتجد ذاك الكتاب الغريب.

مدت يدها وقتها وهي حانقة بشدة وتتساءل لماذا لم يحبها الأمير كالقصص والحكايات.. شعرت بذلك الألم الذي ضرب جسدها بعنف

حينذاك.. ألم يفوق أي وجع شعرت به في حياتها من قبل. وكأن أحدا ألقى بها في الجحيم.. راحت الذكرى تبتعد وهي تقترب من مكان ما.. الليل بدأ في الانسحاب تاركا مجالا للنهار ليضيء الدنيا.
كادت أن تصرخ في فزع رهيب.. اللعنة!
لقد عاد بها الحصان مرة أخرى للإسكندرية.. بل إن الحصان يتخذ طريقه لقصرهم الذي هجروه فارين.. استسلمت لما يحدث فلن يكون أمرًّ مما سبق. بعد دقائق كانت داخل القصر.
القصر أمامها.. من الجلي أنه طالته يد التخريب منذ غادروه.. تشعر بألم لموت الأمير حامد، تحاول التذكر ولا تستطيع، رجحت أن لمسها للكتاب في وقت كانت تتمنى فيه أن يحبها الأمير ويتزوجها غير حياتها، سحر الكتاب حقق لها ما أرادت.. وقفت للحظة تتأمل حديقة القصر ولم تنتبه لتلك العيون التي رصدتها وأخذت تقترب منها.. لم تكد تفكر بالهبوط عن ظهر حصانها حتى رأتهم أمامها.. الصليبيون.. اللعنة!
خمسة من الجنود الصليبيين راحوا يشاكسونها برماحهم وهي تحاول أن تتجه بالحصان في أي اتجاه فارة بعمرها ولكنهم دوما يقطعون عليها الطريق، حتى ظهر ذاك الفارس الصليبي الذي بدا كأنه يعنفهم وهو يأمرهم بأسرها واقتيادها لكبيرهم.. الحوادث تتابع بسرعة وهي تراهم يفتشون سرج الحصان ويخرجون الصندوق المخفي في جرابه.. اقترب الفارس منهم وأخذ الصندوق منها بعنف حاولت المقاومة وهي تتمسك بالصندوق ولكنه حصل عليه في النهاية وهو يشير لهم أن يكبلوها.. بعد فترة كانت مكبلة

وملقاة في زورق صغير مع آخرين في اتجاه مراكب العدو، التي حملت بكثير من الأسرى.. ليلة كاملة بعدها قضتها في الأسر وهي تفكر لمتى سوف تظل في ذاك الزمن العجيب.. وهل ستظل نور صباح للأبد؟!

في آخر تلك الليلة كان هناك ذلك الفارس الذي أسرها يبحث عنها ويأخذها من يديها بعد أن فك قيودها لمركب القادة.. لم تسأل لماذا؟ وتركت الأمور تسير وفق أهواء ذاك الزمن.. كان هناك ذلك الشخص الذي يقف على ظهر السفينة وحوله القادة وأمامه كان ذاك الصندوق الصغير بحمله.. أشار لها أن تقترب منه وهو يتكلم بلغة لا تفهمها.. ولكن مع تكرار حديثه فهمت أنه يطلب منها أن تفتح الصندوق.. ما الشيء الذي جذبه في الصندوق لجعله يطلب منها ذلك ربما لشكل الصندوق وتراثه العجيب وتلك الجمل المكتوبة عليه بصورة عجيبة.

إذا فكرت في مقاومتهم أو الامتناع ربما يقتلونها.. ما الفائدة إذ ماتت في ذاك العصر؟!

هزَّت رأسها وهي تخرج المفتاح من السلسلة المعلقة حول رقبتها وتفتح الصندوق أمامهم.. بدا رئيسهم غاضبا للغاية وهو يتأمل ما داخل الصندوق فقد كان يظن بالتأكيد أن به كنزا من الجواهر.. بعد ثانية كان يأمرها أن تخرج ذاك الكتاب من الصندوق فشيء أخافه من منظره.. مدت يدها وهي تتأمل منظرهم العجيب والذي بدا على الرغم من بشاعة الموقف مضحكا بملابسهم التي بدت لها كملابس مهرجي السيرك.. بمجرد أن لمست أصابعها الكتاب شعرت

بذلك الألم الرهيب مرة أخرى وشعرت بجسدها يطير للخلف لتصطدم بالهواء القارس قبل أن تشعر بجسدها يلمس المياه وتغوص في الأعماق بشدة.

وللحظة شعرت لماذا هي هنا من البداية.. كان عليها أن تصل بالصندوق لهنا لذاك المركب بالذات.. وشعرت بالهواء يقل من رئتيها.. وأدركت أنها النهاية هذه المرة بكل تأكيد.. نهايتها أو نهاية رحلة من الكوابيس التي لا تنتهي.

واستسلمت للغرق وراح جسدها يهبط لأسفل وكأن لا نهاية لقاع البحر.

obeikan.com

(١٢)

استيقظت مفزوعة، عيناها جاحظتان في رعب، ما مرت به منذ أسبوع كان يفوق قدرتها على التحمل، أرادت أن تصرخ ولكن الصرخة تحشرجت في حلقها. جرت إلى الحمام أفرغت ما في بطنها، ما زالت تشعر بطعم الملح على شفتيها.. تقف وهي تنظر حولها في ذهول تام. كيف تكون الهلاوس بهذا القرب؟

إنها لا تصدق ما يحدث لها، منذ أسبوع كانت تغرق في مياه المتوسط بعد أن سقطت من على ظهر سفينة حربية للصليبيين.

أي طبيب نفسي سيصدقها لو قالت له إنها تعيش أكثر من حياة كل يوم؟!

بل هي تعيش أكثر من رعب كل يوم!

تشعر بتنميل في رقبتها، تهزُّ رأسها يسارا ويمينا وهي تحاول أن تطرد كل الخواطر المجنونة خارج عقلها.. الكتاب.. كتاب الموتى. والصندوق الصغير بالكتابات الغريبة المكتوبة عليه.. بالتأكيد الصندوق هو الذي كان يحمي الجميع من سحر الكتاب. أين يكون هذا الصندوق اليوم لا بدَّ أن تبحث عنه.

شيء بداخلها يقول لها إن الصندوق موجود هنا في الفيلا.. عليها فقط أن تبحث عنه ولا تمل حتى تجده.

أصوات أقدام في الممر خارج غرفتها.. لا يهم بالتأكيد لن يسأل أحد عنها، فهم ينظرون إليها الآن على أنها شخص مجنون.. ترى ذاك في عيونهم، تشعر أحيانا كثيرة أنهم يخافون منها، من جنونها. لا يهم.. يكفي أن زوج عمتها بدأ يبعد نفسه عن شئونها ولا يحاول التحرش بها.

جدها يلزم غرفته لا ينزل سوى للسهر قليلا في مكتبه أو للطعام. ذاك الطقس الذي يحافظ عليه أن تجتمع الأسرة كلها على العشاء. صفية ترمقها بنظرات غريبة، عمها شوقي أيضا تظن أنه يريد أن يقول لها أشياء ولكن هناك ما يمنعه.

ثابت يعود من عمله مكدود القوى، أعصابه ملتهبة فهو لا يفهم ما الذي يحدث في العزبة. فوقية وسعاد مشغولتان في المطبخ دوما، ويحاولان أن يجدا حججا حتى لا يلتقيا بها.

ما زالت تتسلل ليلا لغرفة عمها شوقي لتبحث عن كتاب الموتى أو مذكراته وحتى هذه اللحظة لم تعثر عليهما أو تعثر على شيء يشير إلى مكان وجودها. لقد أجاد إخفاء كل شيء.

عمها شوقي الممسوس بالجن كما تظن. أو كما قرأت.

ولكن ما دليلها أن هذا الزمن الموجود به أخوها محمود حقيقي.. لماذا لا يكون وهما هو الآخر. تساءلت كثيرًا لماذا الآن ومنذ أسبوع تقريبا لم تعد الخيالات تضرب عقلها ككل مرة، بل كل شيء يسير بصورة تدل أن حياتها طبيعية وأن كل ما رأته وهم لا أصل له.

هل عرف عمها أنها تفتش وراءه فلم يعد يمارس عليها سحره كما تتخيل.

اللعنة! الأسئلة التي لا معنى لها ولا إجابات!!

وقفت أمام المرآة تصفف شعرها، بلعت ريقها بصعوبة وهي تنظر لصورتها في المرآة.. فقد توقفت هي عن تصفيف شعرها بالفعل بينما انعكاس صورتها في المرآة لا تزال تصفف شعرها. ما هذا الخبل الجديد. صورتها في المرآة تحدق فيها وتبتسم. تراجعت للوراء خطوتين عندما لاحظت تلك الدماء على شفتي صورتها المعكوسة.. حدقت في نفسها وكأنها تشاهد فيلم سينما.. فصورتها تمد يدها وتمسح الدماء السائلة بجانب فمها بإصبعها قبل أن تمص إصبعها كالأطفال في تلذذ عجيب. بعد وهلة لم تستطع فيها التحرك كانت صورتها تفعل ما لا يمكن تخيله أو فهمه. فلو كانت هي الآن فهي تحمل سكينا صغيرة تجرح بها يدها قبل أن تتحسس الدماء المنسالة عبر الجرح وتكتب شيئا بدا واضحا بعد قليل أمامها.. ورأت تلك الكلمات المكتوبة بالدم على المرآة: لن تهربي مني أبدا؟ إنك ملكي.. وبعد لحظة اختفت الدماء ورأت صورتها في المرآة مفتوحة العينين محملقة في نفسها بشدة فتأكدت بعد فترة أن الصورة تماثلها هي حقًّا ولا يوجد شيء غريب يحدث الآن.. وراحت تحرك يديها يمينا ويسارا وترى انعكاس صورتها في المرآة لتتأكد أن هذا الوهم انتهى.. قررت أن تفعل أي شيء حتى تهرب من حالتها تلك.. ستخرج لخارج الغرفة، ستناكف صفية أو عمتها.. ستشغل نفسها بأي شيء.. لن تترك نفسها لتلك الهلاوس المجنونة.. خرجت من الغرفة بسرعة

متلهفة على شيء لا تعلمه.
وجدتهم جميعًا خارج الغرفة يراقبونها، حتى جدها لمحته واقفا ناظرًا إليها في استغراب ودهشة.. شيء يقول لها أن تفر من أمامهم.. نظراتهم غير طبيعية.
هم يريدون بها شرا.. وجدت شوقي عمها يقترب منها وفي عينيه انطلق غضب بلا حدود. دفعته بجسدها بغتة وهي تصرخ فيهم:
- ماذا تريدون؟ اتركوني.
يحاول عمها شوقي اللحاق بها وهي تتجه لمكان لمع فجأة في ذهنها. تحاول الهرب وهي تسمع خطواتهم خلفها.
في البداية اتجهت لباب الفيلا وجدته مغلقا.. عبرت بجوار غرفة سعاد نظرت لداخلها.. شعرت بالفزع وهي تواصل الهروب.. فقد كانت سعاد ملقاة على سريرها، وهناك دماء كثيرة، بل الأصح أن هناك من نحر عنقها وبشدة.. راحت تصرخ وهي تواصل العدو، ثابت ابن عمها يلاحقها وهي تفر. تدفع يده بعيدا عنها.. تلاحظ أنه يمسك سكينا ملوثة بالدماء وهي تقول بفزع:
- ثابت! ما الذي تريدونه مني؟!
سمعت صوت شوقي عمها من بعيد قائلا:
- توقف.. توقف وإلا... ولكن ثابت لم يتوقف وهو يرفع السكين بكل قوته ليهجم عليها.. ورأت السكين في طريقها إلى عنقها. وأغلقت عينيها وهي تنتظر اصطدام السكين بعنقها قبل أن تشعر بلفح النيران الرهيب الذي ضرب جسدها بغتة.. واختفى كل شيء تمامًا.. كانت لا تزال تقف في الممر خارج غرفتها ولا شيء أمامها حقًّا.

كل شيء اختفى ولم يعد له وجود قطُّ.
حتى عندما نادت على أسرتها لم يجبها أحد.
سمعت ذلك الباب للغرفة الثالثة بالممر يفتح بعنف وينطلق منه شيء ما. بعد لحظة وعت للأمر وشعرت بدهشة بالغة والذهول انطلق من عينيها فأمامها كان هناك طفلان يتشاكسان ويجريان وراء بعض وهما يشدان لعبة وكل منهما يحاول أن يخطف اللعبة من الآخر.
إذن لقد قفز بها الزمن مرة أخرى. لتجد نفسها كشيء غير مرئي شبحي في حضرة أحفاد أخيها.
ولثانية فكرت في اللعبة الأخيرة عندما كانت تثب من غرفة لغرفة بمجرد التفكير في ذلك. وبالفعل وجدت نفسها في غرفة عمها شوقي. الفتاة تكتب شيئا على هذا الجهاز أمامها والذي يشبه الآلة الكاتبة ولكن له شاشة مضيئة تعكس الكتابة.
كانت الفتاة تدوس على الأزرار أمامها، وبدا لنوال أنها تكتب لشخص ما.. لم تفهم كيف؟!
أخذت تتابع أصابع الفتاة التي كانت تنقر الأزرار في سرعة متلهفة.. وبدت الكلمات أمام عينيها مقروءة وواضحة.. الفتاة تكتب وهي تنظر للكلمات وتنتظر ما يلي:
«عندما وجدت تلك اليوميات العجيبة لم أكن أتصور أن بها هذا الخيال المرعب، في البداية ظننت عم جدي شوقي هذا شخصا مجنونا بالتأكيد، فالمذكرات مملوءة بالدماء والقتلى.
إنني لا أفهم حقًّا كيف استطاع أن يصف هذا الوصف الذي يقول

إنه يصف حقيقة حدثت.

عندما فتشت في أغراض عم جدي على الرغم من أن جدي منعني من هذا كان بدافع الشغف أن أرى القديم.. أن أعرف الشخص الذي سكن هذه الغرفة لسنوات قبلي. وبعدها وجدت تلك المفكرة مخفية داخل كتاب بصورة عجيبة. فقد حفر وسط الكتاب وحشرت المفكرة وسطها، بالتأكيد أن من أخفاها لم يكن يرغب أن تقع في يد أحد آنذاك. وإذ كانت هذه رغبته حقًّا فلماذا لم يحرقها من الأساس؟ سأكتب ما قرأته وسوف أرفعه على المدونة الجديدة الخاصة بي. عندما تقع أعينكم عليها أكون قد كتبت الجزء الأول منها.. القصة مرعبة حقًّا. كان من السهل أن أنسب كتابتها لنفسي ولكني لست بهذه البشاعة. ما قرأته هو أن شوقي هذا كان ملبوسا بالجن، بل كان مسيطرا على الجن الذي يلبسه بطريقة ما. يحفظ تعاويذ غريبة لا أعرف كيف حفظها وأين عثر عليها، ولكن غرفته أيضا مملوءة بكتب السحر والشعوذة.

كان هذا الجن من النوع الذي يسمم دماء من يسكنه، لذا كان يحتاج الجسد البشري لدماء نظيفة دوما، فتحول من يسكنه هذا الجن لمصاص دماء بشكل ما. لم يكن له أنياب ولكنه وجد طريقة للحصول على الدماء. كان في البداية يتسلل للمستشفيات لسرقة أكياس الدماء. وعندما صعب الأمر عليه. كان يتسلل خلف أي شخص يمر. ويضربه على رأسه بآلة صغيرة يحملها معه على رأسه حتى يفقد الوعي.. ثم يجرح رقبته جرح صغير ويبدأ في امتصاص الدماء التي تعيد له حيويته قليلا. ولكنه دوما كان يحتاج للمزيد.

تلك هي الضريبة التي كان على شوقي أن يدفعها هو حتى لا يخرج هذا الشيء الملعون للعالم. هذا الشيء الذي وصفه بأنه قادر على هلاك قرى بأكملها، بل باستطاعته أن يحرق مدينة كاملة.. علاقتهما ببعض أصبحت حقيقة وواقعا.. فهذا الشيء لا يستطيع أن يخرج من جسد شوقي هذا. لأن شوقي حصن جسده بوشم بتعاويذ سرية على جسده.. شيء واحد كان يستطيع هذا الشيء بعدها أن يتخلص من جسد شوقي. سأذكره لكم فيما بعد لأنه ما أفزعني حقًّا. سأتركه للنهاية لنزيد من تشويق القصة.. التي قاربت على معرفة نهايتها ولكنني أؤجل قراءتها لوقت لاحق».

كانت الفيلا كما وصفها شوقي يسكن فيها أول الأمر.. أخوه وزوجته.. ابنة أخيه وزوجها رأفت.. وأخته وزوجها، وابن أخيه الذي هو جدي محمود.. وثابت ابن أخته وزوجته بالإضافة إلى صاحب الفيلا الجد الأكبر للعائلة أو هو جد جدي.. من الوصف له اعتبرته شخصا متسلطًا حبس عائلته في تلك الفيلا حبا في العزلة والبعد عن الناس. وأظن أنه قد يكون له دور في اليوميات في نهايتها وهذا ما لم أعرفه بعد.. لو ما قرأته ليس من واقع الخيال فأنا إذن من عائلة مجنونة اعتادت التعامل مع الأشباح والجن وهذا غير معقول لي. فلم أر قط جدي مهتما بتلك الأمور.. الفضول كان يقتلني لمعرفة كل شيء. الفضول قتل القط.. لماذا القط تحديدا لماذا لم يقتل الفضول الأسد أو الحصان. دعابة سمجة!

فليكن سأقول لكم ما كتبه شوقي عن نفسه.. «مرت ثلاث سنوات كاملة منذ سيطرتي على هذا الشيء وحبسته في جسدي.. لم أتخلص

من كتاب الموتى بعد فأنا أعلم أن مجرد تفكيري في التخلص منه قد تعيد لهذا الشيء قوته. أحيانا أغيب في غيبوبة لا أعلم أين كنت وقتها، في تلك الغيبوبة أدرك أنني أفقد جزءا من سيطرتي عليه.

إنه يعبث بعقلي أحيانا ويصور لي أشياء مستحيلة. ولكنني أعرف كيف يظل كل هذا في ظل الممكن والمسموح. عندما جلب صديقي شوقي كتاب الموتى من قبرص بعد بحث لسنوات كثيرة لم نكن نعرف أننا نجلب معه هذا الشيء للعالم. كنت أعلم وقتها أن الكتاب يحمل أسرارا تفوق تصوراتنا وأعرف أن هناك طلسما يحمي الكتاب. إنه طلسم ملعون وضعته ساحرة في زمن قديم. لم أعرف في البداية كيف خلال هذه السنوات ظل ذلك الشيء محبوسا داخل الطلاسم والتعاويذ. هناك من كسر سحر الكتاب وتوصل للسر الذي يحمي البشر من شره. طوال الثلاث سنوات رحت أراجع كل كتب التاريخ وكل كتب السحر. حتى عرفت ذلك السر.. صندوق الكتاب الذي لم يحصل عليه شوكت. الصندوق عليه تعاويذ رهيبة من شيخ قديم استطاع من خلالها أن يحبس هذا الشر لسنوات.. والخطأ الأكبر الذي ارتكبه صديقي شوكت أنه لم يطلب شراء الصندوق مع الكتاب. بالتأكيد لم يكن يعرف أهميته مثلي في البداية. الغريب هو وصول الكتاب الذي نشأته مصر إلى قبرص. لم أعرف كيف غادر مصر.. ولكن لا بدَّ أن من حصل عليه كان يعرف أهميته وأخفاه لسنوات حتى ظهر أخيرا في ذلك المزاد.. لقد راسلت صاحب دار المزادات وسألته عن الصندوق. وخلال السنة السابقة وأنا أتواصل معه حتى أخيرا عثر على الصندوق وساومني في السعر.. لا يهم ما

يطلبه. المهم الصندوق. يجب أن أحافظ على الكتاب بأية صورة. ربما وقتها أجد طريقة للتخلص من هذا الشيء الذي يسكن جسدي».

توقفت الفتاة عن الكتابة وكتبت «يتبع».. كادت أن تجن نوال والفتاة تغلق ذلك الجهاز الذي كانت تعمل عليه. وقفت نوال خلفها وهي تكاد تصرخ فهي تريد معرفة باقي القصة.

إنها تقريبا تعرف كيف سافر الصندوق إلى قبرص. بل الأصح أنها هي من فقدت الصندوق عندما وقعت في ذلك الزمن البعيد في يد الحملة الصليبية التي كان يقودها قائد قبرصي عندما كان اسمها الأميرة نور صباح. بالتأكيد عندما اختفت في المياه أمام القائد عرف أن لهذا الكتاب قصة عجيبة واحتفظ به. ربما لو راجعت كتب التاريخ ستعرف أن هذا القائد هوجم ومثل بجسده وسرق قصره. لعنة الكتاب حقًّا قد طالته بالتأكيد.

الشغف يقتلها لتعرف باقي اليوميات.. ولكن الفتاة تثاءبت وهي تتجه لفراشها.. وبعد قليل ذهبت في النوم.. بينما وقفت نوال حانقة وهي تسائل نفسها لمتى ستظل في هذا الزمن.

إنها تريد أن تعرف مكان الصندوق بالكتاب، بل الأحرى أن تعرف مصيرها هي وسط كل هذه الهلاوس والجنون.

وظلت واقفة فوق رأس الفتاة النائمة تتأملها في صمت وترقب.

obeikan.com

(١٣)

أخذت نوال تنتقل من غرفة لغرفة بطريقة الوثب التي أتقنتها، لأنها لا تشعر بحاجتها إلى النوم. تتحرك من مكان لمكان بسرعة مدهشة. كل القصر مفتوح أمامها على مصراعيه. الخروج من القصر فقط هو المستحيل دوما تصطدم بذلك الحائط غير المرئي بالنسبة لها وتشعر بذاك الألم الحاد كلما حاولت.

الفتاة نامت ولم تكمل كتابة اليوميات. الشغف والفضول يقتلانها. يوم كامل مرَّ وهي تنتقل من غرفة لأخرى.. الأم نائمة فقد بدأت تشعر بتعب الولادة. كان من الواضح أن هناك أخا صغيرا للفتاة في الطريق. أيام قليلة ربما ويشرف إلى الدنيا. الأب يدلل الأم يطلب منها عدم التحرك أو بذل أي مجهود. ويتصل بذاك الطبيب الذي يأتي ويكتب بعض المقويات لزوجته.

الفتاة تجلس بجانب أمها معظم اليوم.. وتلمح نوال بصورتها الشبحية تلك النظرة القلقة في عين الفتاة. نظرة تدل أن الموضوع أكبر من تعب أمها وتأثير الحمل.. تنتظر في الغرفة حتى تغادر الفتاة وتتجه لغرفتها. تلقي نظرة على الأم قبل الوثب إلى غرفة

الفتاة.. الفتاة شاردة.. تفتح المفكرة وتلقي نظرة عليها، ثم تقلبها بسرعة لتصل إلى الصفحات الأخيرة. وتتحرك في الغرفة جيئة وذهابا في قلق.

إنها تخفي شيئا بالتأكيد، لا بدَّ أنها قرأت المذكرات كلها من قبل وكانت تعبث عندما كانت تكتب ذلك الموضوع في هذا الشيء الذي تسميه مدونة.. بعد فترة جلست الفتاة على المكتب الصغير وقامت بتشغيل ذاك الجهاز ذي الشاشة المضيئة والتي لم تعرف نوال له اسما بعد. في الغالب لو استمعت جيدًا لما يدور في الفيلا لعرفت أن الفتاة تجلس على الحاسوب الخاص بها.. بعد فترة بدأت تلك الكلمات تتراص أمام الفتاة وبدت عينا نوال مثبتتين بالكامل عما تكتبه الفتاة.. بدأت الفقرة بالتالي:

سأكتب ما ذكره شوقي في يومياته عن لسانه فهو يقول:

«عرفت أن الأمر سيتطور على الرغم من أنني طوال الوقت أحاول أن أحافظ على ثبات الموقف.. لقد وصلني أخيرا الصندوق الخاص بالكتاب.. ووضعت الكتاب به وأخفيته في ذلك السرداب السري العجيب داخل الفيلا.. لم أكن أتصور وقتها وأنا أخفيه في السرداب أنني سوف أفتح السرداب مرة ثانية. عندما اخترت تلك الأرض لجدي كنت أعلم سر السرداب وحكايته القديمة وعلى الرغم من هذا لم أطلب من المقاول الذي بنى الفيلا أن يردمه. بل طلبت منه إخفاءه بالكامل عن الجميع ودفعت بسبب هذا مبلغا كبيرا للمقاول الذي ظن أنني أخفي آثارا بالأسفل.. وبالفعل تم الأمر بحيث من المستحيل أن يصل إلى السرداب أحد في المستقبل. يكفي

obeikan.com

أن أعلم أن الفيلا تحوي شيئا من التاريخ القديم الذي أدمنه، ومن عالم السحر الذي كنت وما زلت شديد الشغف به.. منذ أن سكن ذاك الكائن الشيطاني جسدي وأنا أبرر لنفسي أنه لم يكن أمامي حل آخر.. أشعر بالضعف بعض الوقت وتنتابني تلك الكوابيس التي أرى نفسي معلقا ومصلوبا ومكتفا بالحبال الغليظة. وأرى تلك النسور الرهيبة كبيرة الحجم التي تهجم علي وتمزق جسدي ومناقيرها تعبث بأحشائي. وعلى الرغم من تكرار الكابوس لم أكن أهتم.. فذاك الشيء يواصل تعذيبي ربما خرج مني ليواصل شروره الدموية.. البيت يعمه الفرح منذ أيام.. فنوال على وشك الإنجاب وهناك مولود جديد سينضم إلى العائلة. نوال سعيدة جدًّا ورأفت زوجها على الرغم من قلقه كان يطير من النشوة، كل شيء جاهز لاستقبال المولود. هذا ما لم أكن أظن أنه سوف يسبب مشكلة لي.

وقتها كنت أقف على باب الغرفة بالخارج مع رأفت زوج نوال في انتظار الحادث السعيد. وكلما زادت صرخات نوال بالداخل أشعر بذاك الألم الرهيب بي وكأن هناك من يمزق أحشائي وجسدي.. الألم يزداد بشدة رهيبة.. وأنا أقطع الممر خارج الغرفة جيئة وذهابا في لهفة على ابنة أخي.. وفي انتظار أن نسمع صوت بكاء الرضيع. ساعتان ونحن في هذا القلق وصرخات نوال تمزق قلبي. والقلق بدأ يساور الجميع.. نوال كانت ضعيفة في آخر أيام الحمل.. إنني أشعر بها وأشعر بحاجتها الماسة إلى أبيها أخي الذي فقدته بسبب عبث مجنون.

وعندما انطلق صوت المولود فجأة يعلن وصوله للدنيا. شعرت أن

الألم بجسدي وصل إلى أقصى درجاته وبدأت أتهاوى فاقدا القدرة على الوقوف.. وبالفعل شعرت بنفسي أسقط قبل أن أفقد الوعي.. رجح ثابت يومها وهو يعطيني بعض المقويات أن وقوعي كان من قلقي وخوفي على نوال. ولكن الوضع يومها اختلف نهائيا.. لقد شعرت حقًّا بما لم يشعر به الآخرون.. لقد فر ذاك الكائن من جسدي.. أفكر وأنا أردد التعاويذ السحرية في غرفتي أن أستدعيه. التعويذة تفشل.. لا أثر له في جسدي لقد فر حقًّا وهذا يعني أننا قد نكون في خطر عظيم.. وقتها كان علي النزول إلى السرداب مرة أخرى، ولكن كان علي الانتظار حتى يغادر أبي مكتبه. فالسرداب يقع خلف المكتبة الكبيرة التي وضعتها بنفسي في ذاك المكان.. إنني أكتب مكانه الآن ربما في يوم ما يحتاج شخص معرفة مكانه. فلم يعد هناك شيء مضمون بعد اليوم.

عندما نزلت للسرداب في تلك الليلة.. كان أمامي الكثير من البحث والتدقيق في كتاب الموتى حتى أعرف أين ذهب ذلك الشيطان.. عشر ساعات كاملة وأنا بالداخل.. قضيتها في التدقيق في كل شيء.. حتى فهمت أخيرا.. أين اختفى ذلك الشيء.

الذي فهمته أن ألم سيدة تلد وطفل يولد يجعله يستطيع التحرر بسهولة ليبدأ دورته من جديد في جسد رضيع جديد.

الأمر بدا لي رهيبا. إذن هو الآن في جسد الرضيعة.. تأكدت أن أمامي معركة رهيبة مع هذا الشيء حتى أستطيع تحرير الرضيعة من قبضته.....».

توقفت الفتاة عن الكتابة ورأت نوال دمعة تفر من عين الفتاة..

وفجأة تذكرت نوال اهتمام عمها شوقي بابنتها رانيا وكيف كان يصر أحيانا أن يقضي الليل بجوارها. وترجاهم أكثر من مرة أن يأخذ مهد الرضيعة إلى غرفته. ولكن رأفت زوجها كان يرفض حتى لا يزعجه وحتى تكون الرضيعة في متناول زوجته لو جاعت ليلا واحتاجت للرضاعة.. الآن تشعر نوال بأن ذاكرتها تستعيد أشياء من الماضي.. أشياء لم تفكر فيها من قبل.. الفتاة تقف وتتجه ناحية باب الغرفة للخارج. الليل قد انتصف تقريبا. ونام الجميع. الفتاة تفتح باب غرفة أمها بهدوء وتلقي نظرة للداخل، تتبعها نوال كظلها غير المرئي.. وشيء بداخل نوال يقول لها إن على الفتاة أن تتوقف حالا.. وإلا فإن النهاية ستكون رهيبة.. الفتاة تهبط الدرج بقلق وتتجه ناحية غرفة المكتب.. شيء مرة أخرى يحث نوال أن تصرخ بالفتاة يكفي لهنا.

الفتاة تفتح باب المكتب وتضيء النور بالداخل وتتطلع للجدران.. تقف أمام المكتبة الكبيرة.. وتفتش حولها.. لقد قرأت أن بداية السرداب من هنا.. تحاول أن تصل لطريقة لتحرك بها المكتبة فلا تجد.. فالمكتبة تكاد تكون ملتصقة بالحائط. فتحت ضلفتي المكتبة.. وبقلق عاصف أخذت تخرج الكتب وتضعها على المكتب خلفها وتضع الباقي على الأرض.. قربت كرسيا من المكتبة وصعدت عليه لتأتي بالكتب من الرفوف العلوية.. بعد ساعة تقريبا كانت المكتبة فارغة أمامها وخلفها الحائط الذي اتضح أنه يمثل ظهرها.. وبدأت في إنزال الرفوف لتضعها على الأرض وتساءلت وهي ترى ما أمامها هل كان هذا العم شوقي مجنونا؟ فالحائط مصمت ولا

أثر لشيء.. ستحطم هذا الحائط لو لزم الأمر.. أمها حامل، وتلك المفكرة تقول إن ولادة رضيع ينقل له كائنا شيطانية. إنها لن تسمح أن يكون أخوها القادم شيطانا.

ذهبت للمطبخ وعادت بعد لحظات وهي تحمل ثقلا حديديا وراحت تخبط على الجدار.. سمعت صوت فراغ خلف الجدار فشجعها هذا أن تزيد من الخبط أكثر.. بعد نصف ساعة قضتها دون التوصل لشيء داست بقدمها على أرضية المكتبة دون قصد بثقلها لتصطدم قدمها بعنف وسمعت تلك الطقطقة للخشب، وفهمت أن الخشب أسفلها مفرغ في تلك المنطقة.. وكادت أن تسقط.. سحبت قطعة الخشب من مكانها أسفل هذا الفراغ كان هناك ذلك الحجر المرسوم عليه قبضة بشرية مضمومة.. بعد لحظات أخذت تتأمل فيها تلك القبضة المنقوشة على الحجر الصغير مدت يدها وضغطت على الحجر وسمعت وقتها ذلك الصوت الذي يقول إن الحائط يتزحزح تقريبا عن مكانه ويترك خلفه فراغا يكفي لمرورها.. لم تنتظر وهي تمر لخلف المكتبة.. خمس درجات سلم قبل أن تصطدم مرة أخرى بحائط صلب أمامها. ولكن أسفل قدميها ظهر ذاك الغطاء الحديدي المغلق بمزلاج.. نظرت للحائط أمامها كان عليه كثير من الرسومات والحروف التي لم تر مثلها من قبل. ارتجف قلبها بين ضلوعها. وشعرت أن عليها أن تفر.

في تلك اللحظة كانت عينا نوال خلفها جاحظتين في شرود تام.. خوف رهيب يضرب عقل نوال ويؤكد لها أن ما تفعله الفتاة الآن سيحطم كل شيء.. ليس لدى نوال قدرة أن توقف الفتاة.. وفي

الوقت نفسه تريد معرفة ما خلف هذه البوابة.. عادت الفتاة مرة أخرى جريا لغرفة المكتب.. تابعتها نوال وربما تنفست الصعداء أن الفتاة لن تواصل ما تفعله. ولكن الفتاة عادت لغرفتها بسرعة وأخذت تقلب دولابها حتى حصلت على تلك البطارية. وتأكدت أنها تعمل قبل أن تعود جريا لغرفة المكتبة وتهبط الدرجات الخمس وتنير البطارية ثم تسحب المزلاج.. وتسمع صريره قبل أن تضيء أمامها بالكشاف وتبدأ الهبوط.. لأول مرة تشعر نوال أنها لا تريد أن تتبع الفتاة ولكن بعد دقيقة سمعت تلك الصرخة المجنونة الرهيبة تنطلق من بين شفتي الفتاة.. فوثبت لداخل السرداب.. وعندما رأت نوال ما وقعت عليه عينا الفتاة.. راحت تصرخ هي الأخرى بفزع رهيب.. وانتفض كيانها الشبحي فجأة.. وراحت تتذكر كل شيء.. ومنذ البداية.. في ألم لا نهائي راح يضرب كيانها إن كان له وجود حقا في ذاك الزمن.. الختام

إنها تعلم من البداية كل شيء. لقد راحت ذاكرتها تستعيد ما كان مخفيا عنها. بل لو أرادت الدقة فهي قد قرأت جزءا أكبر من تلك المذكرات الخاصة بعمها منذ فترة طويلة عندما كانت تفتش غرفته. وضعها الحالي فقط هو ما لم يكن يجعلها تتذكر كل ما حدث.

البداية عندها لم تكن بوفاة أبيها فلم تكن تعلم قبلها كيف مات أو هروب زوجها منها بعد وفاة ابنتها الرضيعة.. وليس عندما خرجت أمها بأخيها محمود من البيت.

البداية كانت في تلك الليلة الغريبة عندما كان رأفت في مأمورية عمل بالقاهرة وسيبيت بالخارج.. طوال السهرة وعمها شوقي

يلح عليها أن يأخذ رانيا ابنتها الرضيعة لغرفته، ولكنها تعرف أن الرضيعة تستيقظ بغتة وتبكي كثيرًا في الليل وستقلق عمها فرفضت بهدوء. وعلى الرغم من استغراب إلحاح عمها عليها ولكنها كانت تعلق هذا على شغف عمها بالرضيعة بعيدا عن أبحاثه وعلومه الغريبة.. في تلك الليلة قامت مفزوعة على صوت الصغيرة تبكي في الحمام وصوت عمها شوقي وهو يتمتم بكلمات غريبة غير مفهومة «سطرييينام.. ابيجوريا.. انمتوتنيانا.. سرفينيا.. سفينيا.. سطرييينام.. كمساكار.. ابيجوريا».

دخلت هي فزعة على الحمام واتسعت عيناها لأقصى درجة فقد كان عمها يمسك بالرضيعة ويضعها في المسبح الصغير ويغطس جيدها بعنف.. وهو يكرر تلك الكلمات المجنونة بينما المياه نفسها التي فيها الرضيعة يصعد منها بخار كثيف وبدت كأنها تغلي أمام عينيها.. حاولت آنذاك وهي تصرخ بعنف أن تنقذ الصغيرة من بين يديه.. ولكنه دفعها لتصطدم رأسها بالحائط وتنزف.. قاومت دفعته وعادت لتشتبك معه.. وللحظات حاول أن يخلص يديها التي تلتف حول رقبته بعنف.. ولكنها أخذت تعض عمها في كتفه في شراسة لتحرر ابنتها الرضيعة من بين يديه.. وفي نهاية الأمر كان عمها يشتبك معها في قتال وهو يصرخ فيها أن تنتظر.. ماذا كان عليها أن تنتظر؟ أن يقتل ابنتها أمام عينيها.. أي جنون أصاب عمها.. أي جنون؟

في تلك الفترة لم ينتبه عمها أن يديه قد تركت الرضيعة وتعلقت بيد ابنة أخيه يحاول تحريرها عن رقبته.. لحظة واحدة كانت فارقة..

لحظة تكاد تقسم وقتها أنها رأت المياه التي بها ابنتها تتحول لأتون من النار قبل أن يظهر ذاك الشيء الشيطاني البشع في الحمام وهو يتطلع لعمها بغضب شديد قبل أن يهجم عليها هي وتفقد بعدها الوعي.. عندما أفاقت كانت الأسرة كلها حولها بما فيهم عمها شوقي.. لم تتذكر ما حدث.. رأت فقط نظرة الاتهام في عين الأسرة.. بينما عرفت بعد فترة راحت هي فيها بين الغيبوبة والإفاقة أن ابنتها قد ماتت غرقا في المسبح. بل بالأصح ماتت وقد سلخ جلدها بالكامل فقد كانت تغرق في مياه مغلية لدرجة رهيبة.. الاتهام الحقيقي كان لها.. بينما لم يحاول عمها أن يبرئها. فالعم شوقي كان يعرف أن معركته مع الشيطان عادت مرة أخرى وأنه يسكن الآن جسد الأم.. ابنة أخيه نوال.. جدها رفض بشدة أن يصل الأمر إلى الشرطة، فاستخرج شهادة وفاة للرضيعة ودفنها قبل عودة الأب.. من هذه اللحظة بدأ أفراد العائلة يعاملونها بتوجس وخوف.. أخبروها بموت رضيعتها فقط دون ذكر كيف ماتت. ولهذا ولأن الزوج شك أن لموت ابنته قصة كان الطلاق. الذي لم تقاومه هي وقتها؛ لأن ذلك الشيطان كان بداخلها ويعبث بها كيفما شاء. فهي لا تدري أي شيء حقيقي وأي شيء وهم.

لقد عرفت جزءًا كبيرًا من الأحداث من يوميات عمها.. ولأنها ليس لديها القدرة على السيطرة على هذا الوحش قتلت توحيدة.. قتلتها وهي لا تعلم كيف لتمتص دماءها.. وقتها ربما ناقشت الأسرة أن يذهبوا بها لطبيب نفسي وربما شكوا فيها.. ولكن الجد على الرغم من أن شوقي قد أخبره بحقيقة ما يجري وشكه أنها قتلت توحيدة

رفض أن تذهب لمستشفى المجاذيب.. على شوقي أن يجد حلا.. تعلمت بعد أن سرقت عدة طبية من غرفة ثابت ابن عمتها. أن تستدرج الفلاحين بعيدا عن الفيلا.. وتغرس المحقن الذي سرقته في عنقهم وتأخذ الكميات التي تحتاجها من الدم.. بدأ ثابت ابن عمها يحكي عن الأمر في الفيلا. وعن ذاك المرض الذي يضرب الفلاحين. ذلك الشيء بداخلها مضى في خطته كما هو. يسيطر على جسدها ويصطاد الفلاحين ليلا ليتغذى على دمائهم.. وهي في تلك الحالة تكون غير موجودة بعقلها ولا تتذكرها.

لقد كان هذا الشيء يحضر نفسه حتى يستعيد قوته. فلقد ظل في جسد الصغيرة لفترة ضعيفا.. ولولا أن شوقي كان لا يريد موت الرضيعة وكان ينقط للرضيعة قطرات صغيرة من الدماء كل يوم حتى يجد وقتا ليخرجه من جسد الرضيعة ربما زاد ضعف هذا الشيء أكثر من هذا.. وعاد وقتها الكائن الشيطاني يفكر في الانتقام وبجنون.

ظلت تخرج ليلا لفترات وبداخلها هذا الشيء لتواصل البحث عن دماء حتى يستعيد الشيء قوته. كل شيء كان يسير تبعا لما يريد هذا الشيء. حتى ذاك اليوم الغريب.. عندما حاول الشيء الخروج ليلا وهو بجسدها كالعادة ليصطدم بتلك التعويذة الغريبة التي رسمت وحفرت قرب باب الفيلا لتمنعه من الخروج.. اللعنة!

إنه لم يستعد قوته وقتها بعد بالصورة الكاملة. لقد توصل شوقي لشيء يمنعه من الخروج.

وكان على ذلك الشيء أن يتحرك بسرعة.. يريد مزيدا من الدماء

وإلا ستكون نهايته.. إنها تتذكر الآن وهي ترى نفسها تمسك بذلك المنجل المخصص للحصاد وتدخل على غرفة سعاد.. كانت سعاد قد نامت فعلا وتتقلب في فراشها عندما رأتها بصورتها تلك فصرخت بعنف رهيب ولم تشعر بعدها إلا بذلك المنجل وهو يجز عنقها.. ورأت نوال نفسها وهي تشرب الدماء النازفة بشدة.

لم تمر لحظات حتى كان أفراد الأسرة يدخلون بعد الصرخة العنيفة التي أطلقتها سعاد وهي تغادر الدنيا.. رأوها في تلك الحالة ورأس سعاد مفصولة بالكامل عن الجسد.. صرخت في وجههم وهم يتراجعون في خوف بينما راح شوقي يلقي بتعويذة ما.. ففرت إلى غرفتها وأغلقت الباب من الداخل.. ذهبت إلى الحمام اغتسلت.. وألقت بنفسها في الفراش. بعد ثوان كانت تفيق من النوم اللحظي وكأنها كانت نائمة لساعات.. الشيء يعبث بها وبأسرتها.. تفتح الغرف لتنادي على الجميع فلا يرد أحد.. تنزل ترى النور في غرفة سعاد.. تدخل الغرفة فتجد الأسرة بأكملها ما زالوا ملتفين حول الفراش لا يعرفون كيف يتصرفون ويتناقشون بخوف في الأمر وشوقي يشرح لهم حقيقة كل شيء.. تلمح تلك النظرة في أعينهم.. فتفر هاربة.. يجري وراءها ثابت ابن عمتها بسكين يكاد يمزق عنقها عندما يهتف به عمها شوقي أن يتوقف.. تدلف إلى غرفة عمها شوقي وتغلق الباب عليها بالمفتاح.. ما الذي يحدث لها.. أسرتها تريد قتلها بعد أن قتلوا الخادمة.. لم تتذكر قتلها للخادمة حينئذ.. الشيء يعبث بعقلها. يدلها دون وعي منها على مذكرات عمها تراها تقرأها.. ثم تصرخ في عنف رهيب.. هم بالخارج ينتظرون خروجها.. عمها شوقي يحكي

لهم كل شيء عن هذا الكائن والسرداب مرة أخرى.. يعدون كمينا للكائن في السرداب سيحاولون أن يخرجوه من جسدها.. كتاب الموتى موجود. وصندوقه الذي يحمي من شره موجود.. كل ما عليهم هو استدراجها للنزول للسرداب.. ترى نفسها تغادر الغرفة بعد فترة. الذي يتحرك بجسدها الآن هو الشيء وليس هي.. شوقي يستدعيه للنزول.. لقد أعد العدة لخروجه من جسد نوال بأي طريقة.. في طريقها للنزول ترى ذلك المنجل مغمسا بالدماء تحمله معها.. تهبط السلم للداخل بهدوء.. يهجم عليها ثابت بعد هبوطها لثلاث درجات من الخلف ويسقط بها على السلالم داخل السرداب. ترى نفسها تقف وتضربه بعنف بيدها ليصطدم في الحائط.. عمتها تصرخ بينما يتمتم عبد الفتاح بكلمات غير مفهومة.. في اللحظة التالية وقبل أن يبدأ شوقي في إلقاء تعاويذه كان ذلك المنجل يحصد رأس ثابت التي طارت لأمتار قبل أن تصطدم بالحائط وسط ذهول الجميع وصرخاتهم.. قبل أن تغمس هي يدها في الدماء وتلعقها في وحشية رهيبة.. لم تفهم فوقية هل صرخت وقتها أم لا قبل أن يصطدم ذلك المنجل بقلبها وتسحبه نوال بعنف ليشق الصدر والبطن وتخرج أحشاؤها للخارج وفوقية تلقي نظرة عليها بين الفزع والنهاية.. شوقي ينظر لما تفعله وهو يواصل تعاويذه في سرعة عالية ولا يستطيع التوقف.. تشعر بألم في جسدها وحرارة جسدها ترتفع.. تهجم على صفية التي تحاول أن تفر وتخبط رأسها بالحائط عدة مرات بقوة رهيبة حتى تناثر مخها على الحائط لتتركها جثة هامدة.. جدها يصرخ فيها بعنف أن تتوقف.. عقلها

يحاول طرد ذلك الشيء الرهيب الذي يسكنها.. تهجم على جدها وتمسك عنقه بيد واحدة قبل أن تضغط عليه بقوة وهو يشهق في فزع قبل أن تسمع طقطقة عظام رقبته.. ونشيج صوت شوقي وهو يقول تعاويذه يصل إلى أذنيها. فتقترب منه ومن عينيها انطلق كل شر العالم.

في تلك اللحظة كان شوقي ما زال يردد التعاويذ وهو يتراجع للخلف.. وعيناه مغرورقتان بالدموع بشدة.. التعاويذ أضعفت الكائن للحظة وهي تضرب شوقي بالمنجل ليصطدم بكتفه فيجرحه جرحا عميقا.. لم تعلم متى فاقت وهي ترى الدماء تغرق قميص عمها شوقي.. تطلعت بفزع لحولها. كل أسرتها عبارة عن أشلاء في سرداب مجنون.

إنها تعرف كيف ماتوا، فالكائن كان يتلذذ بأن تعلم.. أي عذاب هذا؟!!

نظرت في وجه عمها وهي تقول بضعف:

- اقتلني الآن وقبل أن يعود.. أرجوك.. اقتلني.. عينا عمها شوقي المحدقتان بها في فزع وهي تناوله ذلك المنجل.. فيتناوله بضعف.. قبل أن يرفعه لأعلى ويهبط على عنقها بعنف.. لهنا تنتهي ذكرياتها الرهيبة.. إذن هي شبح.. شبح حقيقي.. يعيد القصة بحذافيرها مرة أخرى.. وكل ما سبق كان مجرد ذكريات شبح في قصر موتى.. بل قد يكونون كلهم أشباحا محبوسين في تلك الفيلا.. لقد عبث معها الشيء والكتاب بمنتهى الدناءة والوحشية.. تلذذوا بتعذيبها حتى تلك اللحظة.. ولكن لمتى ولماذا الآن؟ هل لعودة أخيها محمود..

إنها لا تعرف نهاية القصة بعد.. عادت من الذكريات والفتاة تعيد الصراخ بعنف رهيب.. وهي تهرول خارجة من السرداب المليء بالهياكل العظمية.. تطلعت نوال للهياكل للحظات.. وقفت للحظة تتأمل أحد الهياكل بتعجب.. إنه هيكل شوقي عمها. فما الذي جاء به لهنا قرب المذبح المنصوب في منتصف السرداب.

شيء لا تعلمه حدث بعد موتها.. شيء أكبر من تصورها.. السؤال الذي يجب أن تسأله الآن.. لماذا هي عادت كشبح الآن.. وهل انتهى حقًّا ومات هذا الشيء بهذه البساطة؟!!

هذه المرة استخدمت الوثب لتذهب لغرفة عمها.. اليوميات.. يجب أن تسيطر على الفتاة وتأتي بها لهنا.. الفتاة تبكي صاعدة الدرج بسرعة.. وجدت نفسها بجوارها وتهجم عليها وللحظة شعرت بنفسها داخل جسد الفتاة التي بدت مستسلمة لوهلة.. كيف اكتسبت تلك الميزة الجديدة أهو الخوف أم الغضب الذي جعلها هكذا.. الفتاة تعود بأوامرها للمكتبة.. تعيد المكتبة كما كانت.. ولساعة تعيد رص الكتب بمنتهى الحرص.. تغادر المكتبة في جسد الفتاة وتأمرها أن تصعد لغرفة شوقي حيث اليوميات.. تمد الفتاة يدها وتسحب اليوميات وتبدأ في قراءة آخرها:

«لقد انتهى كل شيء.. فقدت أسرتي بالكامل بسبب جنوني وحمقي. الكائن ما زال موجودا في الفيلا ولن يستطيع الخروج لأنه لا يريد قتلي لو أراد لفعلها. فقط يعبث بي يعرف أنني الوحيد الذي أملك السر الذي يجعله يخرج بسهولة من الفيلا.. ولكنه يزداد قوة بعد كل هذه الدماء.. سيستطيع بين لحظة وأخرى أن يسيطر على

جسدي.. يجب أن أنهي هذا الأمر الذي بدأته.. جرحي ما زال يؤلمني. ولكنه لن يستمر في إيلامي.. فسوف أكتب هذا الخطاب وأتركه لزوجة أخي حتى لا تبحث عنا.. بل سأخبرها بكل شيء إلا مكان السرداب.. وسوف أحذرها من مغبة أن تنقل ما قلت لها لأي شخص مهما كان وإلا ستعرض حياتها وحياة محمود للخطر.. سأخبرها أنني جننت وكنت السبب في مقتل الجميع، حتى زوجها وسأطلب منها أن تغفر لي.. وليتها تغفر وكم كنت أتمنى أن أطلب الصفح من الجميع».

قلبت الفتاة الورق بأوامر نوال.. «لقد كتبت الخطاب وأرسلته بالفعل لزوجة أخي المتوفى فلم يكن باستطاعتي أن أتركه هنا ليعثر عليه أي شخص. وأبلغت سكان العزبة والفلاحين أننا سوف نسافر لأيام ولا أحد يقترب من الفيلا سوى زوجة أخي وتركت المفاتيح في حوزة صديق قديم بالعزبة وعدت للفيلا من الباب الخلفي الذي تركته مفتوحا.. وأخبرتها في الخطاب أن تتصل بصديقي هذا عند حضورها.. وعندما يصلها الخطاب سأكون قد غادرت الدنيا أنا الآخر.. تحذيري لها أن لا تبيع الفيلا أو تفرط فيها.. اضطررت للأسف أن أذكر لزوجة أخي مكان السرداب مع تحذيرها ألا تنزل إليه أبدا وإلا ستموت هي الأخرى.. عليها فقط أن توصد ذلك الباب للأبد.. الآن علي أن أذهب.. سأنزل إلى السرداب.. سأخفي كتاب الموتى في صندوقه.. سأنام راضيًا على المذبح.. وبيدي سوف أنهي حياتي.. فيجب أن أضع نهاية لهذا الأمر.. مهما كان.. فلن أسمح لنفسي أن أقع في يد هذا الشيء أبدا.. سأستدعيه وقبل أن يتلبس جسدي

بالكامل في تلك اللحظة ما بين استعادة قوته وقوتي.. سأطعن نفسي وأترك دمائي تسيل في المذبح الشيطاني. لتكون النهاية.

لا أعرف من سيقع في يده هذه اليوميات في المستقبل.

ولكني تركتها كتحذير أخير لمن يأتي بعدي ألا يفتح السرداب مهما حدث.. ومهما صارت الأمور.. تحذير أخير».

انتهت اليوميات عند هذا الحد.. وقامت الفتاة بطلب من نوال بإخفاء اليوميات كما كانت.. حاولت نوال بعدها أن تغادر جسد الفتاة الصغيرة.. فوجئت بفشلها.. اللعنة!

هل ستظل محبوسة هنا في جسد الفتاة؟!!

لعنة جديدة تضاف إلى كل ما سبق..

***

obeikan.com

خمسة أيام كاملة منذ التحم كيانها الشبحي بكيان الفتاة وهي لا تستطيع التصرف أو الخروج من الجسد. انشغال الجميع بقرب المولود لم يجعلهم يلتفتون للتغير الذي طرأ على الفتاة.. وفي الساعة الثامنة مساء ارتفعت تلك الصرخة التي تعني وصول مولود للأسرة.. في تلك اللحظة وجدت نوال نفسها تتحرر من جسد الفتاة.. بل رأت كيانها الشبحي تحول لما يشبه النور المضيء يخترق كل شيء.. ومع الصرخة الثانية وبكاء المولود الذي قال الطبيب إنها أنثى.. كانت تلك الطاقة التي تحولت لها نوال تغوص بالكامل في جسد الرضيعة.. وعندما فاقت الفتاة الشابة راحت تهزُّ رأسها بعنف فهي تقف خارج غرفة أمها وتسمع بكاء رضيع ولكنها لا تتذكر متى جاءت إلى هنا.. وشعرت لوهلة وكأنها كانت في غيبوبة وأفاقت فهي لا تتذكر تقريبا أي شيء حدث لها منذ قدومها مع جدها للفيلا.. بينما في عقل المولودة الرضيعة كانت هناك ضحكة شيطانية رهيبة.. ضحكة من كائن شيطاني سكن جسد الرضيعة.. ولمعت عينا الرضيعة وهما يحملانها ويقبلانها في شغف.. بينما كمن ذلك الكائن وقتها في مكانه.

فقد علمت نوال أن ذلك الكائن لم يغادرها قط.. حتى عندما كانت مجرد شبح من زمن آخر.. بل الأصح والذي تذكرته وهي في جسد الرضيعة أن نوال نفسها كانت ذلك الكائن الشيطاني ولكن لضعفه كان يحمل جزءا من الذكريات التي ربطته بالكتاب ومن لمسوه لآلاف السنين.. فهي لم تكن قطُّ نوال ابنة مدحت الخشن.. بل كانت الحاصد حافظ كتاب الموتى ومنذ البداية.

إن تضحية سامي بنفسه كانت خطأ آخر له.. هدأت الرضيعة بعد قليل وهي ترضع من ثدي أمها، وربما ستستغرب الأم عندما تخربشها الرضيعة بعد فترة في صدرها وتجرحه، وستقول على ابنتها الرضيعة آنذاك وهي تداعبها: يا لك من شيطانة صغيرة!!

تمت

obeikan.com